الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي-
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
نيابة العمادة للدراسات ما بعد التدرج و البحث العلمي و العلاقات الخارجية

أم البواقي في:2021/10/20

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

المنعقد يوم 08 مارس 2021

الموضوع: المصادقة على مطبوعة بيداغوجية

بناء على محضر اللجنة العلمية لقسم العلوم الاجتماعية و على التقارير الإيجابية للخبراء د.نصيرة سالم ، د. زكية العمراوي، د. صبرينة حديدان، المعتمدين لتقييم مطبوعة **"الفرد والثقافة"** الموجهة لطلبة السنة اولى جذع مشترك علوم اجتماعية المقدمة من طرف الدكتور **بورني نسيم**،تم اعتماد المطبوعة البيداغوجية على أن يتم وضع نسخة على الموقع الإلكتروني.

رئيس المجلس العلمي للكلية

رئيس المجلس العلمي
لكلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
أ.د ضليف لخضر

المجلس العلمي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبي
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي –
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

الفرد والثقافة

مقدمة للسنة الأولى جذع مشترك LMD

اعداد:

د. نسيم بورني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي –

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

الفرد والثقافة

مقدمة للسنة الأولى جذع مشترك LMD

من إعداد:

د. نسيم بورني

السنة الجامعية: 2020-2021

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	**1**
المحاضرة الأولى الثقافة	**4**
أولا/ مفهوم الثقافة	**4**
1- لغة	**4**
2- اصطلاحا	**7**
ثانيا/ أهمية الثقافة	**13**
ثالثا/ وظيفة الثقافة و خصائصها	**13**
1- وظيفة الثقافة	**13**
2- خصائص الثقافة	**16**
رابعا/ مفاهيم لها علاقة بالثقافة	**24**
1- الثقاف	**24**
2- المثاقفة والتثاقف	**25**
3- الثقافة الفرعية والثقافة الهامشية	**25**
4-الثقافة المضادة	**28**
5- ثقافة الفقر	**28**
6- الثقافة السياسية	**28**
7- الثقافة الجماهرية	**29**
8- المركز الثقافي	**29**
9- الصدمة الثقافية	**30**
10- الثقافة الشعبية	**30**
11- المثقف	**30**

المحاضرة الثانية مكونات الثقافة	33
تمهيد	**33**
أولا/ الإيديولوجيا والدين	**33**
1- الإديولوجية	**33**
2- الدين	**34**
2-1- تعريف الدين لغة	**34**
2-2- تعريف الدين اصطلاحا	**36**
2-3- نظريات حول أصل نشأة الدين	**36**
ا- النظرية الطبيعية	**37**
ب- النظرية الطوطمية	**39**
ج- النظرية الروحية	**40**
د- نظرية هنري برجسون	**41**
ثانيا/ علاقة الثقافة بالدين	**42**
ثالثا/ القيم والمعايير	**43**
1- القيم	**43**
2- المعايير	**45**
رابعا/ النظم الاجتماعية	**46**
خامسا/ المكانة	**47**
سادسا/ الطقوس والشعائر الدينية	**48**
سابعا/ العادات والتقاليد	**48**
ثامنا/ الأعراف	**49**
تاسعا/ التراث الشعبي	**49**
عاشرا/ اللغة	**50**

المحاضرة الثالثة ثنائية الفرد و الثقافة	54
أولا/ مفهوم الفرد	**54**
لغويا	**54**
اصطلاحا	**54**
ثانيا/ الهوية	**56**
ثالثا/ المجتمع	**58**
1- مفهوم المجتمع	**58**
2- مقومات المجتمع	**59**
رابعا/ التنشئة الاجتماعية	**63**
1- مفهوم التنشئة الاجتماعية	**64**
2- أهداف التنشئة الاجتماعية	**64**
3- وظائف التنشئة الاجتماعية	**65**
4- مؤسسات التنشئة الاجتماعية	**66**
خامسا/ الشخصية	**67**
1- مفهوم الشخصية	**67**
2- مقومات الشخصية	**70**
سادسا/ علاقة الفرد بالثقافة	**73**
1- المقاربة السوسيولوجية لعلاقة الفرد بالثقافة	**74**
2- المقاربة الأنتربولوجية لعلاقة الفرد بالثقافة	**85**
سابعا/ علاقة المجتمع بالثقافة	**88**
ثامنا/ علاقة الشخصية بالثقافة	**90**
1- تأثير الثقافة في الشخصية	**91**
2- تأثير الشخصية في الثقافة	**96**

تاسعا/ ثلاثية الثقافة والشخصية والمجتمع	**98**
المحاضرة الرابعة الثقافة بين الحضارة و تعدد الثقافات	**104**
تمهيد	**104**
أولا/ مفهوم الحضارة	**104**
ثانيا/ نظريات الحضارة	**106**
1- نظرية نهاية التاريخ (نهاية حرب الثقافات)	**106**
2- نظرية صدام الثقافات	**108**
3- الحوار بين الثقافات	**112**
خاتمة	**115**
قائمة المراجع	**116**

مقدمة:

يأتي الإنسان إلى هذا الوجود وهو لا يفقه شيئا عن دنياه فيتعلم عن والديه والوسط الذي وجد فيه، رموزا وإشارات و أحرف وكلمات يعبر من خلالها عما يجيش في خاطره وعما يريد فعله، وبذلك فهو يتعلم لغة قومه، فضلا عن ذلك يتعلم أيضا طريقة في الجلوس وطرق أخرى للأكل واللباس وعادات وتقاليد يكتسبها منذ نعومة أظافره يألفها وقد يحبها فتصير ملتصقة في ذهنه، كما أنه يتعود على القيام بطقوس او شعائر تدخل فيما بعد في صميم ديانته وعقيدته، والى جانب ذلك فهو يسمع إلى حكايات وقصص وقد تكون أساطير في بعض الأحيان تروي من خلالها مختلف المواقف الإنسانية من شجاعة وإقدام وبسالة وكرم وجود وتضحية ووفاء... الخ والتي تعد في نظر المجتمع بمثابة أخلاق حميدة وإيجابية يتعين على كل فرد أن يتحلى بها، مقابل ذلك فإن هذه الروايات لا تنسى أن تذكر مواقف أخرى سلبية تدل على الأخلاق الذميمة كالجبن والبخل والخيانة ، فتتشكل لدى الفرد مجموعة من القيم والتي من خلالها يستطيع فيما بعد ان يفرق بين ما هو صحيح وما هو خطأ وما هو محمود وما هو مذموم، فيحاول أن يصقل سلوكه حسب ما اكتسبه من تلك القيم ليحدد معايير معينة يضبط بها جميع سلوكاته وتصرفاته حتى لا تخرج عن الاطار العام لقيم ومعايير المجتمع.

كما أن الفرد يولد في مجتمع يتميز بنظم اجتماعية تميزه عن غيره كالنظام الاقتصادي والسياسي والتعليمي والديني، فيحاول أن يحترم هذه النظم ويتماشى مع تطلعاتها والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها حتى يكون مواطنا صالحا كما ينشد المجتمع.

وبناء على ما سبق ذكره، فإن ال فرد ابن بيئته يرث عنها اللغة والمعتقد والقيم والمعايير والعادات والتقاليد والعرف والفنون يحتكم لقوانينها ويخضع لنظمها وهذا ما يمكن أن نسميه بثقافة المجتمع التي يرثها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد.

ولنوضح هذه هذه الجدلية الموجودة بين الفرد و الثقافة و ما العلاقة بينهما، يتقدم المؤلف بهذه **المطبوعة البيداغوجية للسنة أولى جذع مشترك ALD** و التي تضمنت أربع محاور أساسية في شكل اربع محاضرات جاء فيها ما يلي:

- **المحاضرة الأولى:** تطرقت الى تحديد مفهوم الثقافة، أهميتها، خصائصها، وظيفتها، اهم المصطلحات التي لها علاقة بها.

- **المحاضرة الثانية:** تطرقت إلى مكونات الثقافة، الايدولوجيا والمعتقد و اهم النظريات التي حاولت أن تفسر نشأت الدين و كذلك علاقة الدين بالثقافة، القيم و المعايير، المكانة الاجتماعية، النظم الاجتماعية، العرف

- **المحاضرة الثالثة:** تطرقت إلى موضوع ثنائية الفرد و الثقافة و ذلك بتحديد مفهوم الفرد و اهم المفاهيم التي لها علاقة به، الهوية، المجتمع، الشخصية، ثم تطرقت إلى توضيح العلاقة بين المجتمع و الثقافة، العلاقة بين الشخصية و الثقافة ومدى تأثير الثقافة على الشخصية و تأثير الشخصية على الثقافة، علاقة الفرد بالثقافة حسب المقاربة السوسيولوجية و الانتروبولوجيا، و ثلاثية الشخصية و المجتمع والثقافة.

- **المحاضرة الرابعة:** عالجت مفهوم الثقافة ما بين الحضارة و التعدد الثقافي، تطرقت فيه إلى تحديد مفهوم الحضارة و تحديد الفرق بين الثقافة و الحضارة و أهم النظريات التي حاولت ان توضح شكل العلاقة ما بين الثقافات المختلفة و هي نظرية نهاية التاريخ، نظرية صراع الثقافات ، نظرية حوار الثقافات

المحاضرة الأولى الثقافة

- **مفهوم الثقافة**

- لغة

- اصطلاحا

- **أهمية الثقافة**

- **وظيفة الثقافة**

- **خصائص الثقافة**

- **أهم المصطلحات التي لها علاقة بالثقافة**

تمهيد:

نظرا لأهمية تحديد هذا المفهوم موضوعيا و منهجيا، نحاول أن نعرض مجموعة من التعاريف المختلفة التي حاولت أن تزيل اللبس و الغموض عنه، و ذلك بتوضيح دلالته لغويا و اصطلاحا و إبراز معانيه المختلفة عبر صيرورة تاريخية اختلفت فيه مقاصده و تبلورت أخيرا معالمه في فكرة عامة في الوقت المعاصر، نحاول أن نتعرف عليها، ثم نتطرق إلى إبراز أهمية الثقافة ، خصائصها ، وظيفتها، أهم المصطلحات التي لها علاقة بها.

أولا/ مفهوم الثقافة:

1- الثقافة لغة:

لم يعرف مفهوم الثقافة في القدم بنفس الدلالة التي نعرفها الآن، فقد أطلق اللاتين كلمة CULTURA وهي كلمة مشتقة من الفعل COLERE "بمعنى زرع، حصد، أقام، اعتنى، صان، احتفظ،... الخ وبالقياس، العناية بالأرض بحرثها وزرعها وريها تعادل العناية بالنفس CULTURA ONIMI بتقويمها وتربيتها وتثقيفها وهي قيم ستكون فاعلة في الحضارة الغربية في رمتها(الزين، 2013، ص 46).

أما في لسان الإغريق فقد جاءت كلمة "ثقافة" بمعنى الصناعة.

إذا كانت الدلالة اللاتينية ترتبط بشكل جذري بالأرض أي بالحياة أو المعيش، فإن الدلالة الإغريقية كانت تشتمل على الصنائع، أي أن الفنون في مجملها هي عبارة عن "تكني" (TECHNé) لأن الأصل الاشتقاقي للفن معناه الأداة أو الآلة (الزين، 2013، ص 54)

كما جاءت عند العرب كلمة ثقف بمعنى الحذق والفطن وسريع التعلم.

والعلامة فريد وجدي يقول في (دائرة معارف القرن العشرين/ المجلد الثاني: ثقف يثقف ثقافة: فطن وحذق، وثقف العلم في اسرع مدة أي: اسرع أخذه، وثقفه يثقفه ثقفا: غلبه في الحذق والتثقيف: الحاذق الفطن (بن نبي، 2015، ص 19)

وأيضا جاء في لسان العرب ما يلي:

الثقافة ما تسوى به الرماح... ثاقفة مثاقفة: لاعبه بالسلاح، والثقافة بكسرهما: العمل بالسيف يقال فلان من أهل المثاقفة، وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف، والثقف: الخصام والجلاد ومن المجاز: التثقيف التأديب والتهذيب، ويقال: لولا تثقفت إلا على يديك (الزين، 2013، ص 60).

ومن المعاني الأخرى لهذا المصطلح في اللغة العربية نذكر ما يلي:

– وجود الشيء أو مصادفته، والشاهد على ذلك في القران الكريم قول الله تعالى:" واقتلوهم حيث ثقفتموهم" والضمير (هم) يعود على مشركي مكة، ومعنى الآية اقتلوا مشركي مكة أينما وجدتموهم أو صادفتموهم في طريقكم وتؤكد هذا المعنى الآية الأخرى التي تقول: " وضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا" أي أينما وجدوه (بن نعمان، 1995، ص 17).

وقد حث الله عز وجل قتل المشركين أينما وجدوا أو ثقفوا أثناء حربهم مع المسلمين وليس أثناء السلم، فعلى المسلمين أن يجنحوا إلى السلم إذا لم يكن هناك مبرر حقيقي للحرب وعليهم أيضا أن يحترموا العهود والمواثيق المبرمة مع المشركين وغيرهم من الأمم، كما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وإن الآية الكريمة سالفة الذكر ليس قاعدة عامة تطبق في كل مكان وزمان بل حالة استثنائية أثناء الحرب حتى لا يلتبس ذلك على القارئ الكريم.

– الظفر بالشيء وأخذه على وجه الغلبة ومن ذلك قول الله تعالى: "إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء" ومعناه ان يغلبوكم يكونوا لكم أعداء من حيث القتل وفي نفس المعنى يقول الشاعر العربي:

فإما تثقفوني فاقتلوني وإن أثقف فسوف ترون بالي

ومعناه إن تظفروا بي وتأخذوني غلبة فاقتلوني وإن أنا اظفر بكم فسوف ترون ما أنا بكم فاعل(بني نعمان، 1996، ص 18).

ومن أهم معاني الثقافة و الثقف في اللغة العربية هي الخصام وشدة حموضة الشيء وكذلك الحبس والأسر والقيد وهذا ما يؤكده بن نعمان (1996) بقوله:

المعنى الرابع الخصام، تقول: وقع بين القوم الثقف (بفتح القاف وكسرها) إذا حدث فيهم خصام.

المعنى الخامس شدة حموضة الشيء، تقول ثقف الخل يثقف ثقفا ثقافة إذا اشتدت حموضته واصبح طعمه لاذعا جذا فهو ثقف و ثقيف.

المعنى الثامن (كلا من المعنى السادس والسابع قد تم توضيحهما فيما سبق) الحبس، والأسر والقيد في ذلك قال الله تعالى: "فإما يثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم"

مما سبق يتبين أن كلمة الثقافة لم تحمل دلالتها ومعناها اللغوي كما هو معروف الآن سواء عند العرب أو عند الأوروبيين.

ففي أوروبا لم تأخذ الكلمة معناها الحالي حتى فترة متأخرة، حيث يشير عالم الإجتماع الكندي (غي روشاي) إلى أن الثقافة بالفرنسية كانت تعني الطقوس الدينية في القرون الوسطى، ثم أصبحت تعبر عن فلاحة الأرض في القرن السابع عشر، وعبرت عن التكوين الفكري في القرن الثامن عشر، وفي ألمانيا أشارت الكلمة إلى التقدم الفكري بينما عنت الحضارة الجانب المادي(حسن، 2007، ص30) .

وبناء على ذلك فإن مفهوم الثقافة كما نعرفه اليوم في العلوم الاجتماعية هو مفهوم حديث سجل دلالاته وملامحه العامة بداية من القرن الثامن عشر، فهو أوروبي المنشأ، ولم يجد هذا المصطلح اهتماما كبيرا من قبل الرواد الأوائل من أمثال كارل ماركس و دوركايم و أوجست كونت إلا أنه بفضل الجيل الثاني من علماء الاجتماع الفرنسيين بعد الحرب العالمية الثانية صار لهذا المفهوم حضورا كبيرا في أبحاثهم وسجل انتشارا ورواجا كبيرا في مختلف التخصصات العلمية كعلم الاجتماع وعلم النفس و الأنتربولوجيا ... الخ .

2- الثقافة اصطلاحا:

كما رأينا سلفا عند تحديد مفهوم الثقافة لغة، أن هذا المفهوم لم يحمل نفس الدلالة كما هو معروف الآن. فالثقافة عند اللاتين كانت تعني الزراعة و عند الإغريق كانت تدل عل الصناعة، وأما العرب فقد استعملوا هذه الكلمة للدلالة عن الذكاء والفطنة وسرعة التعلم، إلى جانب معاني أخرى بعيدة كل البعد عما نعرفه عن مفهوم الثقافة بمعناها الإصطلاحي في وقتنا المعاصر، وقد تعددت وتنوعت التعاريف التي حاولت أن تحدد هذا المصطلح .

ففي عام 1952 قام ا عالما ن أنتربولوجيا ن أمريكيان، هما ألفرد كريبر Alfred Kroeber وكلايدكلوكونClyde Kluckhonn . ضمن جهد توضيحي، بطبع كتاب بجمع محاولات مختلفة لتعريف مفهوم الثقافة أو المفاهيم القريبة في العلوم الاجتماعية، وجدا منها مالا يقل عن 164. لم يكن تنوعها مرتبط فقط بطبيعة التعريف الموجه (من خلال المحتوى والوظيفة والخصائص)، إنما أيضا بالاستخدامات الواسعة إلى حد ما للكلمة(غير معروف، 2008، ص9) .

مما سبق يمكن أن نقدم بعض التعاريف التي تحاول أن توضح مفهوم الثقافة وهي كالتالي:

- الثقافة أو الحضارة بالمعنى الواسع للكلمة: هي المجموع المتشعب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وجميع الإمكانات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين(حامد، 2008، ص155) .

يمكن أن نعلق على هذا التعريف بأنه لم يفرق ما بين الثقافة والحضارة، باعتبار أن الثقافة تمثل الجانب المعنوي بينما الحضارة تمثل الجانب المادي والإبداعي للإنسان ولما يجب أن يكون عليه الإنسان من تحضر .

ولو سلمنا جدلا بشمول هذا التعريف لمضمون مفهوم الثقافة، لقلنا أن الثقافة هي كل ما هو معنوي ومادي له علاقة بالإنسان.

– تتألف الثقافة من أنماط فكرية وقيم ومعتقدات شائعة بين مجموعة من الأفراد. لا يهم حجم المجموعة هنا، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، وسواء أكانت جزءا من مجتمع معين أم المجتمع بأكمله، أم حتى إذا كانت المجموعة مرتبطة بمجموعات أخرى خارج حدودها الوطنية. فالثقافة هنا جزء لا يتجزأ من الحياة الكلية لمجموعة معينة من الأفراد (إنغليز، هيوسون، 2003، ص17) .

ويشير كتاب الثقافة بين الكوني والخصوصي (2008) إلى أن أو التعريف العلمي لمفهوم الثقافة الذي صاغه الأنتربولوجي البريطاني إدوارد تايلور عام 1871 "بأن الثقافة هي مجمل العادات التي اكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع وضمنها إذن كافة الكفاءات التقنية والرمزية والإجتماعية التي طورتها المجتمعات البشرية، واقترح تصنيفها تبعا لسلم تطوري" .

– مفهوم الثقافة أصبح اليوم بمنزلة قاسم مشترك يؤلف بين عناصر كثيرة يصعب التكهن مسبقا بوجود علاقة ما تجمعها لكثرة ما هي الاختلافات بينها بادية للعيان: تصورات عن الحياة والكون والإنسان، سلوكيات بشرية، موضوعات مادية، مهارات وتقنيات، طقوس ورموز دينية، مؤسسات وعادات اجتماعية، آداب وفنون وعلوم، مواقف وإستراتيجيات اجتماعية وسياسية، باختصار، إنه يحيل إلى ك ل ما يمت إلى البشر وعالمهم بصلة، مرئيا كان أو غير مرئي، شعوريا كان أو لا شعوري، مستمرا كان أو عابرا، محليا كان أو عالميا، قديما كان أو حديثا(الدواي، 2013، ص20) .

يشير هذا التعريف إلى أن الثقافة هي فعل إنساني محض وهي مكتسبة تنتقل من جيل أخر، تتحدد من خلالها القيم الاجتماعية التي تتحكم في سلوك الأفراد .

أما التعريف الماركسي للثقافة فكما يقول عبد الغني عماد (2006) لا بد من الإشارة إلى بعض التعريفات ذات الطابع الشمولي والتي لا ترتكز على جانب واحد فقط من جوانب الثقافة. فالتعريف الماركسي للثقافة من هذا النوع، فهو يعتبرها شاملة،كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها، التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ .

مفهوم الثقافة يشمل كل نتاج إنساني من وسائل الإنتاج البدائية إلى الأدب والفن والميثولوجيا والدين والأخلاق وجميع مظاهر الحياة لاجتماعية من لباس وسكن وطعام وشراب و أدآب المائدة وغير ذلك من المظاهر المادية، وكذلك طقوس ومظاهر التعبير والتواصل الإنساني (حسن، 2007، ص34) .

– يعرف يونغ كا الثقافة بأنها محصلة إنتاج الإنسانية والتي يمكن دراستها من ناحية على أنها ذلك الهيكل الخاص بالأنظمة وأشكال السلوك التي لها صفة الاستمرارية والتغير دون أن يرتبط هذا دائما بمجتمع أو أفراد معينة. ومن ناحية أخرى، يمكن النظر إلى الثقافة من وجهة نظر تفاعل الأفراد أو الجماعات، على أنها الإنتاج النفسي الذي يتعلم وينتقل إلى الآخرين ليسن عن طريق الوراثة الميكانيكية، بل عن طريق التعلم الإنساني، وبالرغم من أن هناك مؤسسات تقوم بهذه المهمة مثل الأسرة والمدرسة وجماعات اللعب والمحليات فإن الطرق التي يفكر بها الإنسان ويسلكها حيال هذه الجماعات الأولية، هي في حقيقتها أمر مكتسب من الثقافة (بيومي، 2006، ص122) .

قد ورد في أخر تعريف للثقافة و الصادر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية. تحت إشراف اليونسكو بمكسيكو (06 جويلية، 06أوت 1982) ما نصه " إن الثقافة بمعناها الواسع، يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. وإن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد و الالتزام الأخلاقي، وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الخيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإلى إعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه(بن نعمان، 1996، ص23) . رغم أن هذا التعريف شامل ووافي لمفهوم الثقافة إلا أننا نعيب عليه أنه يعتبر الثقافة تجعل من الإنسان يتميز بالعقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وفي حقيقة الأمر فإن هذا الأمر لا ينطبق أو

بعكس جميع الثقافات، فهناك ثقافات على المستوى العالمي منغلقة على ذاتها وتغرس في أفرادها قيم تنبذ أي انتقاد للأفكار السائدة في المجتمع أو التي ألفوها .

يمكن القول أن الثقافة تعني جميع أنواع السلوك المتعلم والمتوقع في مجتمع، فيشمل المعنى العمران والأدوات ووسائل إنتاجها، كما يتضمن النظم والمعتقدات وأنواع المعرفة والفنون والآداب والقيم والمعايير والتقاليد والعادات والأعراف، أي كل ما أنتجه الإنسان أو تبناه ضمن حياته الاجتماعية. (عثمان، 2006، ص156) .

بناءا عليه يمكن أن نستخلص أن الثقافة تقوم على أساسين:

الأساس الأول: عقدي يحمل تصورا عن العالم والإنسان، والحياة والموت، وما بعد الموت وعن وضعية الإنسان في هذا العالم، ومصدر هذا التصور إما أن يكون الوحي أو التأمل أو الإلهام أو الأساطير .

الأساس الثاني: سلوكي يتمثل في الممارسات الفعلية لذلك التصور العقدي على مستوى الشعور والتفكير والقول والعمل، وكل ضروب السلوك الفردي والجماعي ويظهر ذلك من خلال العادات والتقاليد والأعراف والفلكلور والطقوس الدينية التعبدية (زعيمي، 2004، ص246) .

هكذا يتضح لنا أن كلمة Culture التي دلت في سياق نشأتها الأصلية، على عملية مادية ملموسة تماما، تتعين في حرث الحقول وزراعتها، قد وظفت في ما بعد في معنى إستعاري للدلالة على العناية بشؤون النفس والعقل، ولاحقا على مشروع تعهد الطفل البشري عن طريق التربية والتعليم، وإعداده وإصلاحه وتهذيبه وتطوير ملكاته وقدراته العقلية، ليكون مواطنا صالحا في المجتمع الذي يعيش فيه (الدواي، 2013، ص18) إلا أن هذا المعنى لم يتبلور عن العرب سواء في جاهليتهم أو بعد إسلامهم ولا عند ازدهار حضاراتهم، سواء عند الأمويين أو العباسيين ولا حتى بعد أصول هذه الحضارات وزوالها .

ورغم ظهور العالم والنابغة بن خلدون الذي سبق زمانه بعدة قرون لما قدمه من تحليل عميق وتفسير دقيق لكثير من الظواهر الاجتماعية نود أن نخصصه بالذكر لأنه أكثر العلماء قربا من غيره في استعمال مفهوم الثقافة من حيث معناها الاصطلاحي وليس اللفظي .

إلا أنه لم يستعمل هذه الكلمة حرفيا، أما عن مضمونها ومعناها وفحواها فقد تتجلى ذلك في معظم كتاباته عندما تناول موضوع العصبية ودورها في نشأة الحضارة وإندثارها، وذلك بتطرقه إلى خصائص المجتمعات وطباع أفرادها .

حيث أنه جعل للحضارة ثلاث مراحل يتعاقب عليها ثلاث أجيال، كل جيل متوسط عمره 40سنة، أي أن الحضارة يدوم عمرها ما بين النشأة والزوال 120 سنة .

يتصف الجيل الأول بخصائص تميزه عن غيره (كما يذكر ابن خلدون)، وهو الجيل الذي تنشأ الحضارة بسواعده ونتيجة شجاعته وبسالته، وتكون العصبية بينهم شديدة يميلون إلى التقشف وشظف العيش، ويقنعون بالقليل ولا يطمحون إلى الكثير من الكماليات فهم البدو إذا ."فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم، وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن و الدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك" (ابن خلدون، 2008، ص134) .

وبعد صراع مرير بين هؤلاء البدو والدولة القائمة الحاكمة على كاهل شعبها بالظلم والجور نتيجة بذخ وترف حكامها على حساب تفقير أفراد شعبها مما يثير التوترات والثورات .

وهذا ما يجعلها في حاجة ماسة إلى الأموال الطائلة من أجل تثبيت الجند وجلب المرتزقة، فتزيد الضرائب على شعبها، مما يزيد من حتفه عليها وإصراره على الثورات حتى ينجح في دكها وهزيمتها وإزالتها تماما .

وبذلك يصلون إلى الملك، وينتقل البدو من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، فيتغير سلوكهم وتتبدل طباعهم .

ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنق فيها وتوسعة البيوت والصروح... فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون في المياه ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو أنية أو ماعون وهؤلاء هم الحضر (ابن خلدون، 2008، ص ص134-135) .

وهذا الجيل يخلف عنه جيل أخر تكون رغباته إلى الترف أكبر وإلى النزوات وإتباع الشهوات أكثر، حينها تختفي العصبية من جديد بعدما اكتفت بالتلاشي فقط عند الجيل الثاني ثم يأتي الجيل الثالث فتكثر المظالم ويعم الفساد مما يستثير عصبية أخرى تتأهب للبروز، فتكون نهاية هذه الدولة كنهاية الدولة التي سبقتها وهكذا دواليك .

نلاحظ أن ابن خلدون كان في معظم كتاباته يتكلم عن ثقافة المجتمعات في كل مرحلة من مراحل تغيرها إلا أنه لم يستعمل هذه الكلمة ولم يوظفها كما توظف في مختلف البحوث في الوقت المعاصر .

ورغم ذلك فهذا لا يعني أن ابن خلدون لم يستعمل مصطلح الثقافة بتاتا، فكما يشير الزين (2014) إلى أن سلامة موسى هو أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث الذي لم يصكها بنفسه بل انتحلها "أي سرقها" من ابن خلدون، إذ وجده يستعملها في معنى شبيه بلفظة "كلتور" الشائعة في الأدب الأوروبي .

مما سبق نكون قد أشرنا إلى مفهوم الثقافة الاصطلاحي وعلاقته بالتراث العربي أما من حيث مدلوله، فقد اختلف في تحديده الكثير من العلماء والمختصين .

ثانيا/ أهمية الثقافة:

تتجلى أهمية الثقافة من خلال الدور الذي تؤديه في حياة الفرد والمجتمع والذي يمكن إجماله فيما يلي:

* توفر الثقافة للفرد، صور السلوك والتفكير والمشاعر، التي ينبغي أن يكون عليها، ولا سيما في مراحله أولى، بحيث ينشأ على قيم وعادات تؤثر في حياته، بحسب طبيعة ثقافته التي عاش فيها (حسن، 2007، ص28) .

* تزود الأفراد بتصورات وتفسيرات حول الطبيعة والكون وأصل الإنسان وبدايته وكيف سيكون منهاه وعلاقته مع الأخر أو مع الطبيعة .

* تزود الأفراد بالقيم والمعايير التي تتحكم في سلوكاتهم وأفعالهم إزاء مختلف المواقف عن طريق تربيتهم على معاني الخطأ الصواب والمحمود والمذموم والمشروع والمحظور .

* تنمي الثقافة الضمير الحي عند الأفراد، بحيث يصبح هذا الضمير فيما بعد الرقيب القوي على سلوكاتهم ومواقفهم، فهي تجاوز للذات، وحاجة للمشاركة وضرورة للذوق والخلق (حسن، 2007، ص29) .

* تنمي الثقافة المشتركة في الفرد، شعورا بالانتماء والولاء، فتربطه بالآخرين في جماعته بشعور واحد، وتميزهم من الجماعات الأخرى، وأخيرا تكسب الثقافة الفرد، الاتجاهات السلمية لسلوكه العام، في إطار السلوك المعترف به من قبل الجماعة (حسن، 2007، ص29) .

ثالثا/ وظيفة الثقافة و خصائصها:

1- وظيفة الثقافة:

تمنح لأفراد المجتمع تصورا عاما حول طبيعة علاقتهم مع بعضهم أو مع الأخر، علاقتهم مع الطبيعة، علاقتهم مع الكون ككل، وتضفي معنى خاص لمفهوم الحياة والموت، وهذا التصور مصدره المعتقد الذي يستند حسب منطلقاته الفكرية إلى وحي من السماء أو إلى الأساطير أو إلى التأمل والإلهام .

- **الوظيفة الاجتماعية:**

الثقافة تمثل روح المجتمع، وهي التي تجعله أكثر تجانسا وتماسكا، حيث يتلقى الأفراد منذ الصغر عن طريق التعلم نماذج من السلوك ونوع من الأفكار ونمط من الحياة توافق تـوقعات المجتمع مستقبلا، حيث لا يخرج الأفراد عن الإطار العام لهذه الثقافة، مثل مراسيم الزواج أو طريقة الدفن أو الختان أو كيفية استرداد الحقوق سواء عن طريق المحاكم وتطبيق القانون أو إتباع ما يمليه العرف والاحتكام إلى مجموعة من العقلاء ... إلخ.

لذلك تبدو الثقافة وكأنها عبارة عن عالم عقلي أخلاقي رمزي، مشترك بين أعداء من الناس، وبفضل هذا العالم ومن خلاله يستطيع هؤلاء أن يتصلوا فيما بينهم ويقروا الروابط التي تشد بعضهم إلى بعض والقيود أو المصالح المشتركة ويشعروا أخيرا أن كل فرد على حده وجميعهم كجماعة بأنهم أعضاء في كيان واحد يتجاوزهم ويشملهم جميعا، وهذا ما نسميه تجمع أو جميعة أو جماعة أو مجتمع (روشيه منقولا عن حامد، 2008، ص162) .

- **الوظيفة النفسية للثقافة:**

إن الثقافة تؤدي على الصعيد النفسي وظيفة "قولبة" الشخصية الفردية، أي أن الثقافة هي في الواقع نوع من القالب تتشكل في بوتقته شخصيات الأفراد النفسية، وذلك لأنه يقدم لهم نماذج من التفكير ومن المعارف والأفكار والقنوات المفضلة للتعبير عن العواطف او وسائل إشباع الحاجات(حامد، 2008، ص 162).

وإذا كانت الثقافة عبارة عن قالب تتشكل فيه شخصية أفراد المجتمع، لوجدنا اذا الناس كلهم على شاكلة واحدة من غير شخصية تميز الواحد عن الآخر، ولذلك فإن أي ثقافة تعطي خيارات كثيرة تسمح بتنوع الأذواق و الميولات و السلوكات في إطارها العام

فهذا العالم ليس جامدا بصورة مطلقة، فهو طيع نوعا ما لدرجة أنه يسمح للأفراد بالتكيف مع هذا النسق المتكامل، وهذا ما يسمح نسبيا لكل شخص بأن يتمثل الثقافة بطريقة تتوافق مع خاصيته او طبيعته، ومن هنا تبرز شخصية الفرد التي رغم أنها نتاج لعملية تثقيفية خضع لها، إلا أنها لا تخلو من الخصوصية التي تميز كل فرد عن الآخر.

فضلا عن ذلك فإن الثقافة تتيح لنا خيارات واختيارات بين القيم المتنوعة وبين النماذج المتفاضلة المتغيرة والمتحولة حسب الخصوصيات الثقافية، ولكن هذه المطواعية أو الليونة تتم داخل حدود الإطار الثقافي لأن تجاوز هذه الحدود الموضوعية يعني أن الفرد اصبح هامشيا في المجتمع الذي هو عضو فيه(حامد، 2008، ص 162)

مثال ذلك وفي مجال الزواج نجد أن المسلم يستطيع أن يتزوج المرأة لجمالها أو مالها أو لحسبها أو لدينها، فالثقافة الإسلامية سمحت له بتلك الخيارات كلها مع تفضيل صاحبة الدين، وأتاحت له فوق ذلك الزواج باليهودية والنصرانية، إلا أن هذه الثقافة تحرم عنه الزواج بمشركة، وهذا ما يمثل الاطار العام لهذه الثقافة والذي يتعين عدم الخروج عنه.

تمد الفرد بأساليب معينة لتلبية احتياجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية والمعرفية كما للثقافة وظائف أخرى وهي:

- **الوظيفة التشييديةconstructive:**

تعمل الثقافة على وجود مؤسسات مثل الزواج والنقود والقانون واللغة، ونحن نقبل أو لا نقبل العواقب الناجمة عنها.

- **الوظيفة التوجيهية directive:**

تدفعنا الثقافة عن طريق استبطانها لا تباع معايير السلوك

وهذه المراعاة مرتبطة بعدة أنماط من التعزيزات الشخصية والأخلاقية والاجتماعية

- **الوظيفة الإيحائية Evocative:**

في مواجهة الحوادث تجعلنا ثقافتنا تختبر مشاعر، ونعبر عن مواقف ، وهكذا فكل عنصر من الثقافة إذن حامل المؤثرات، قد تكون هذه المشاعر طبيعية بالتأكيد، والطريقة التي نعيش بها (من خلال إخفائها أو إظهارها) مرتبطة مع ذلك بثقافتنا (غير معروف، 2008، ص 19)

2- خصائص الثقافة:

من اهم خصائص الثقافة ما يلي:

- **إنسانية:**

الثقافة يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية، فالحيوان قد يكتسب لغة يتواصل بها مع فصيلته أو أسلوب للعيش والغذاء (بطريقة غزيرة) ونمط معين يتبعه في الحياة، كما تفعل الحيوانات المفترسة او ذلك النظام الصارم عند الحشرات كالنحل أو النمل، بينما فيما يخص المفاهيم والتصورات وبناء الأفكار وتطويرها والابتكار والاختراع شيء يتميز به الإنسان دون سواه، ولذلك فإن الثقافة هي خاصية إنسانية محضة

فالإنسان "هو المخلوق الوحيد الذي أتاه الله عز وجل قدرات (فكرية ولغوية) قادرة على صنع الثقافة، أي أنه قادر على ابتكار الأفكار، وإتيان الأعمال، وصنع الأدوات المختلفة التي تمكنه من تحسين ظروف معيشته والسيطرة على قساوة الطبيعة والتكيف مع الأحوال المستجدة في الحياة الاجتماعية والبيئة دون الحاجة إلى إجراء تغيير في بنيته العضوية" (بن نعمان، 1996، ص 29)

- **مكتسبة:**

الثقافة لا تورث عن طريق الجينات الوراثية، بل يكتسبها الأفراد من البيئة التي يعيشون فيها، فمن خلال الخبرات الشخصية يكتسب الأفراد معتقداتهم وقيمهم ولغة قومهم، ويتعلمون كيف يحترمون النظم الاجتماعية السائدة في مجتمعهم، وذلك عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة، المدرسة، دور العبادة... الخ، وقد تبقى هذه الثقافة راسخة في أذهان الأفراد حتى لو هاجروا أوطانهم وقوبلوا بثقافة مغايرة تماما لثقافتهم

الأصلية، نجدهم في حنين دائم لأوطانهم ومتمسكين بدينهم وبالعادات والتقاليد والطقوس التي ألفوها من قبل، وفوق ذلك فهم يعمدون إلى تعليمها لأولادهم.

"فالثقافة كما يذهب ميردوك ليست شيئا غريزيا، او فطريا او ينتقل بيولوجيا، ولكنها مكونة من عادات اعني اتجاهات مكتسبة للتفاعل يكتسبها كل فرد خلال خبرته الذاتية بعد الولادة ويتفق مع هذا الافتراض معظم علماء الأنثروبولوجيا (بيومي، 2006، ص 124)

*** اجتماعية:**

ترتبط الثقافة بمفهوم الجماعة، سواء دل ذلك على المجتمع ككل أو على جزء منه، كجماعة تتميز بثقافة فرعية تختلف عن المجتمع في بعض مكوناته الثقافية، ولذلك فإن الثقافة لا تنتهي بموت احد الأفراد مهما علت مكانته كرئيس دولة أو زعيم شعبي أو رئيس قبيلة، بل هي تبقى مع بقاء الجماعة ما دامت لا تزال تحافظ عليها.

وكون الثقافة اجتماعية فهذا " يعني أنها لا توجد إلا في مجتمع إنساني، كما أنها لا تدرس إلا في إطارها الاجتماعي و إذا درس الأنثروبولوجي سلوكات أفراد مجتمع ما ليستنتج منه الأنماط الثقافية السائدة في هذا المجتمع، فإنه يدرس سلوك هؤلاء الأفراد كأعضاء ينتمون إلى مجتمع معين" (بن نعمان، 1996، ص 31) فما يميز المجتمع ليست كلها على درجة من العموم والشمول لجميع أفراد المجتمع فيمكن تقسيم هذه النظم الى ثلاث أنواع كما يشير (بن نعمان، 1996) وهي كما يلي:

- العموميات:

وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك اللغة، والدين والعرف المستقر، وهذا يظهر بصفة خاصة في المجتمعات التقليدية الضيقة... أما في المجتمعات الكبيرة والمتمدنة حيث يتحدث الأفراد بأكثر من لغة ويدينون بأكثر من دين.... فتحل القوانين محل العرف في المجتمعات التقليدية .

- **البدائل:**

أما بدائل الثقافة فهي مجموعة من النظم التي لا تطبق على كافة أفراد المجتمع في نفس الوقت وإنما هي نظم اختيارية بحيث يمكن للفرد أن يختارها كلها أو يختار بعضها أو يتركها دون حرج، ودون أن يناله عقاب من احد، ومن الأمثلة على ذلك نظام بناء السكن او نظام الحرف، أو السكن مع الوالدين بعد الزواج أو التزوج من داخل العائلة أو من خارجها... الخ

- **الخصوصيات:**

اذا كان أفراد المجتمع يلتقون في العموميات الثقافية او البدائل فإنهم على العكس من ذلك فهم يختلفون في الخصوصيات. وهذه الخصوصيات تظهر بشكل اكثر وضوحا في المجتمعات الكبيرة المتمدنة، حيث نجد مثلا: خصوصيات اللباس تختلف ما بين الإناث والذكور بوجه عام ثم تختلف داخل فئة الإناث بين الصغيرات والكبيرات ثم داخل كل فئة نجد اختلافا واضحا بين البدويات والحضريات... وكذلك الخصوصيات الثقافية المتعلقة بأصحاب الحرف والمهن أو ما بين التجار والموظفين، كما تختلف أيضا ثقافة الحرفيين البدوين ومع أصحاب المهن الحرة كالأطباء والمحامين

- **انتقالية:**

تنتقل الثقافة من جيل إلىأخر، فيتوارثها الأبناء عن الآباءوالأحفاد عن الأجداد عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية

- **متغيرة:**

الثقافة ليست ثابتة جامدة لا يتغير منها شيء على مر العصور والسنين، بل لديها قابلية للتغيير مسايرة لتطور الفكر البشري ونتيجة أيضا لاحتكاك الشعوب ببعضها البعض بحكم التأثيروالتأثر

ففي وقتنا الحالي على سبيل المثال نلاحظ مدى تأثر الشباب العربي بالغرب في كثير من عاداتهم وتقاليدهم كطريقة لباسهم وأكلهم وقصة الشعر وحتى الاحتفال بأعيادهم الدينية خاصة بما توفر اليوم وسائل التواصل الاجتماعي من تقارب بين الأفراد والشعوب

كما قد يكون هذا التغيير بسبب ظهور مصلحين أو مفكرين أو أنبياء ورسل

ففي الجزيرة العربية قديما وعند جاهليتهم قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان القانون الذي يحكمهم هو قانون الغابة فالقوي منهم يأكل حق الضعيف، والبنت المولودة توءد من غير ذنب أو جرم، اقترفته في مجتمع يحتقر المرأة ويهضم حقوقها ولديه نظرة دونية لها مقارنة بالرجل، كما كانت نظرة أرسطو إلى المرأة في الحضارة اليونانية الذي يعتبر المرأة بالنسبة للرجل "هي كالعبد بالنسبة للسيد، وكالعامل اليدوي بالنسبة للعامل الذهني، وكالبربري بالنسبة للإغريقي، والمرأة هي رجل لم ينجز، وقد تركت واقفة على درجة من الدرجات الدنيا في سلم التطور والذكر هو بطبيعته أسمى، والأنثى أدنى، فالواحد يحكم والأخرى محكومة، وهذا المبدأ يشمل بالضرورة كل الجنس البشري والمرأة هي ضعيفة الإرادة، وهي لذلك عاجزة عن استقلال الخلق المركز، و أفضل وضع لها هو حياة منزلية"(ديورانت، 1994، ص 125).

كما كان العرب يعبدون الأوثان كما عبدها اليونان والرومان وقد يصنعون آلهتهم من الحجارة أو من التمر اذا جاع احدهم لم يتوان على أكلها

فأرسل إليهم الله نبينا منهم بأمر العدل والإحسان و إيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وإكرام المرأة بنتا حيث وعد من أدبها و أحسن تربيتها أن تكون له وقاء من النار وجعل أحسن الصدقات لقمة يضعها الرجل في فم زوجته أما أما فهي طريق ابنها إلى الجنة إذا أحسن إليها، وفوق ذلك فقد جعل للمرأة حق في الإرث بعدما كانت محرومة منه فحالات يكون حظ الأنثيين كحظ الرجل وحالات يكون حظ الأنثى مساو للرجل وحالات أخرى يكون حظ الأنثى اكبر من حظ الرجل وهذا مع فرض القوامة على الرجل

وأمر هذا الرسول قومه بأن يحطموا تلك الأوثان التي لا تنفعهم ولا تضرهم بشيء وأمرهم أن يعبدوا خالق هذا الكون الذي ينبئ انتظامه وانسجامه بأنه ليس بمحض الصدفة، لأن من خصائص الصدفة ان لا تتكرر فكيف لهذه القوانين التي تتحكم بها الطبيعة والتي لم يكتشف منها العلماء الا الشيء اليسير والمتكررة والثابتة في كل حين أن تكون بمحض الصدفة بل من ورائها خالق عليم خبير حينها تغيرت ثقافة العرب وتغير معها واقعهم فبعدما كانوا أحلاف الصحراء صاروا سادة العالم حينا من الدهر.

أما أوروبا فبعدما ذاقت ويلات الظلم والجور والحجر على العقول في القرون الوسطى من قبل الكنيسة ورجالات الدين، وذلك بفرض الإتاوات والعشور والعمل بالصخرة مما جعل رجالات الدين يكتنزون الذب والفضة وثرواتهم تفوق ثروات الملوك والأمراء

فعاثوا في الأرض فسادا وصاروا ينشرون أفكار العبودية والذل والهوان كدعوتهم أنه من يخدم سيدين خير من الذي يخدم سيد واحد ومن ضربك على خدك الأيمنأدر له خدك الأيسر ومن أخذ قطعة من إزارك أعطه الإزار كله، هذا كله كان تكريسا لاستغلال تلك الشعوب المستضعفة .

أما العلماء وطلبة العلم فقد سلطت عليهم محاكم التفتيش التي راح ضحيتها ألاف من العلماء وطلبت العلم بإصدار أحكام بصلبهم أو قتلهم أو سجنهم أو حرقهم أحياء .

واستثمر الأمر على ذلك حتى ظهرت فلسفة التنوير التي تدعوا إلى العدل والمساواة وحرية الأفراد وأثمرت بالثورة الفرنسية التي كسرت تلك الأغلال وأعلت العلمانية ضد دين حارب العلم والعلماء وقد صدق بعدها أمام هذا الوضع كارل ماركس عندما أعتبر أن الدين هو أفيون الشعوب حسب الخصوصية التاريخية التي مرت بها أوروبا إلا أنه أخطأ عندما عمما ذلك على جميع الديانات، فالإسلام على سبيل المثال جعل طريق الهداية ومعرفة خالق هذا الكون لا يأتي بطريقة صحيحة إلا عن طريق العلم .

وبذلك بعد أن حلت العلمانية في أوروبا محل الكنيسة، وحل العلماء والمفكرين مكان رجالات الدين، تغيرت ثقافتهم وتغير واقعهم هم أيضا وخطوا خطوات كبيرة في مجال العلم والتكنولوجيا وصاروا روادا في هذا المجال ولذلك فإن الثقافة تتغير حسب المكان والزمان .

- تنبؤية:

إن معرفة ثقافة مجتمع معين، يجعلنا نتوقع ردود أفعال أفراده إتجاه مختلف القضايا التي تواجههم ومعرفة كيفية التعامل معهم حتا نصل إلى ردة الفعل الإيجابية من قبلهم، كما يمكننا معرفة سلوكاتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم وقناعاتهم ومعتقداتهم وطقوسهم وما يحبون وما يبغضون مما يسهل عملية التعامل أو التواصل معهم .

وقد استغلت كثير من الدول المستعمرة هذه الخاصية التنبؤية للثقافة من أجل استعمار الكثير من الشعوب من خلال الاستفادة من الدراسات الأنتربولوجية الأولى لمختلف ثقافات الشعوب .

بغية تسهيل عملية استعمارها وتدليل السبل من أجل إقناعهم بشرعية تواجدهم على أراضيهم مما يسهل مهمة نهب أراضيهم وثرواتهم .

وخير دليل على ذلك أن الاستعمار الفرنسي لما احتل الجزائر كان على دراية كبيرة بثقافة شعبه ومدى تعلقه بدينه، فجاءه من هذا الباب وسخر الدراويش والطرفيين ليمشوا بين الناس وينشروا أفكارا مغلوطة كقولهم أن فرنسا قضاء وقدر من عند الله، فمن حاربها فهذا يعني أنه ساخط وغير راض على الله وهذا ما يؤدي به إلى الكفر فيخشى الناس مجرد التفكير في محاربة فرنسا، كما استغلت فرنسا أيضا المساجد فكانت تملي خطب الجمعة على أئمتها لملأ أذهان مريدي هذه المساجد بأفكار وقيم مما يتناسب تثبيت أقدامها على أرض غير أرضها .

كما أن خاصية التنبؤية للثقافة قد تستغل من قبل تجار الأسلحة سواء كانوا أفرادا أم دول عظمى، الزرع الفتن بين الشعب الواحد عن طريق إثارة الطائفية والعصبية، كما يحدث في العراق وليبيا واليمن أو بين الشيعة

والسنة، أو بين العربي والأمازيغي وتحت شعار فرق تسد أما من الناحية الاقتصادية مثلا فبعض الدول المصدرة للحوم تراعي الطريقة الشرعية للذبح بالنسبة للمسلمين حتى يتمكنوا من تسويقها إلى دولهم وهذا ما يعرف باسم اللحم الحلال .

- **تراكمية:**

الثقافة لا تأتي من فراغ، فهي حصيلة ما انتهى إليه الآباءوالأجداد ليرثها عنهم الأولاد، ليضعوا هم بدورهم بصمتهم الخاصة عليها مما يوافق ويناسب زمانهم فيعدلوا ويغيروا ويثبتوا ما استطاعوا إليه سبيلا .

- **قابليتها للانتشار:**

للثقافة خاصية الانتشار، فهي تنتقل من مكان إلى آخر، فقد كانت تنتشر قديما عن طريق التجارة والحروب، أما في وقتنا الحاضر فهي تنشر بواسطة وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي من صار العالم عبارة عن قرية صغيرة واختلط في هذا الزمان ما هو خصوصي بما هو كوني .

- **الثقافة معيارية:**

إذا أخذنا بالقول أن الثقافة معان وقيم، فإنها تشكل تصورات الجماعة لأوجه الحياة، هذا التصور الجماعي المشترك يصبح المرجعية والمقياس لأنماط السلوك والفكر والشعور، وبها يحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض، ما هو سوي وما هو منحرف... وقد يؤدي تباين الأوضاع الاجتماعية في المجتمع الواحد إلى تباين ثقافي، يؤدي إلى تباين في المعايير والقيم (عثمان، 2006، ص158-159) .

- **الثقافة متشابهة الشكل:**

رغم أن هناك تباين واختلاف في المضامين للثقافات المختلفة للأمم والشعوب فإن هذه الثقافات تلتقي في كثير من الحالات في شكلها الخارجي أو المظهري .

ومثال ذلك أن في كل مجتمع يوجد نظام عائلي سواء كان ذلك نظام العائلة الصغيرة أو نظام العائلة الكبيرة أو نظام العالة المركبة، ونفس المثال ينطبق على نظام الملبس والمسكن والمأكل... فبالنسبة للملبس قد يكون

فراء يغطي كل أجزاء الجسم، أو أوراق الشجر التي تغطي عروة الإنسان، أو البذلة العسكرية المليئة بالأوسمة والنياشين، أو البرنس والعباءة والعمامة والطربوش أو السترة والسروال ورابطة العنق والبرنيطة..."

(بن نعمان، 1996، ص40) .

وهذا ما يجعل كثير من المختصين في مجال الثقافة يطلقون على الأشكال المتشابهة للثقافة باسم الأنماط العالمية للثقافة ويشير بن نعمان(1996) إلى العالم (وسلر) الذي يحددها فيما يلي:

1/ اللغة

2/ العناصر والمركبات الثقافية

أ- عادات الطعام

ب- المسكن

ج- الملبس

د- وسائل النقل والسفر

هـ- أدوات الإنتاج وغيرها من الأدوات و الآلات التي تستعمل في شتى أغراض الحياة

و- الأسلحة

ز- المهن والصناعات

3/ الفن: بمختلف أشكاله وأنواعه من نحت ورسم وموسيقى ورقص وغناء وما إلى ذلك

4/ الأساطير والمعارف العلمية

5/ المعتقدات الدينية

6/ الأسرة والنظمالاجتماعية

أ- أشكال الزواج

ب- نظم التسلسل القرابي

ج- الميراث

د- الضبط الاجتماعي

هـ- الألعاب، والاحتفال بالمواسم والأعياد والأفراح المختلفة

7/ الملكية

أ- الملكية العقارية وملكية الأشياء المنقولة

ب- مستويات قيمة الأشياء والتبادل

ج- التجارة

8/ الحكومة أو السلطة

أ- الأشكال والنظم السياسية

ب- الإجراءات القانونية والقضائية

ج- العقاب، ووسائل الردع المختلفة، من التغريم والضرب إلى السجن والقتل والحرب .

رابعا/ مفاهيم لها علاقة بالثقافة:

1- الثقاف:

أسمي "الثقاف" القالب المادي والنظري، الذي به يتقوم الطبع والرؤية والسلوك، حيث الثقاف المادي هو المخزون التراثي للعقل المدون (بالمقارنة بالمخزون المالي لتبادل الصفقات) والثقاف النظري هو مجموعة من التصورات أو التمثيلات التي تشكل المنظومة الفكرية للمجتمع. وقد يتخذ الثقاف أيضا دلالة "المثال"... بمثابة المعلم الذي يمكن السير وفقه في شكل معيار(الزين، 2014، ص73) .

فيعتبر محمد شوقي الزين أبرز من وضع هذا المصطلح في الكتابات العربية بمعنى أن الثقاف هو المرجعية أو النموذج أو القالب وإن صح التعبير النمط أو الطراز .

2- المثاقفة والتثاقف:

المثقافة هي اعتناق مجتمع لثقافة مغايرة لثقافته الأصلية فقد أدرج علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون في تحليلاتهم مصطلح "النزوع" الذي كان سابيرافترضه في الألسنية، ليبينوا أن المثاقفة ليس اعتناقا غير مشروط لثقافة أخرى، إن تحول الثقافة الأصلية يتم بانتقاء عناصر ثقافية مفترضة، ويتم هذا الانتقاء من تلقاء ذاته وفق "نزوع" عميق في الثقافة الأخذة، لا ينجز دون إذن عن المثاقفة وجوبا إختفاء هذه الثقافة ولا تعديل منطقها الداخلي الذي يمكن أن يظل مهيمنا (كوش منقولا عن: الزين، 2014، ص85) .

وأما التثاقف " فهو التغيير الناتج عن الاتصال بين ثقافتين مختلفتين، لأن هذا النوع من العلاقة يؤدي إلى تأثير متبادل بين الثقافتين، وبالتالي زيادة أوجه التشابه بينهما، وهذا ما يسمى بالتثاقف "(بن غضبان، 2015، ص192) .

3- الثقافة الفرعية والثقافة الهامشية:

الثقافة الفرعية هي جزء من الثقافة الأساسية أو الثقافة الكلية، تشترك في معظم خصائص الثقافة العامة وتختلف عنها في بعض مكوناتها .

تشترك مع الثقافة العامة في الأساسيات وتختلف عنها في بعض السمات الخاصة. وتظهر أهمية هذا المفهوم في تناول المجتمعات الحديثة المعقدة التركيب، التي تتضمن جماعات متباينة كالجماعات الإثنية والدينية أو الشرائح الإجتماعية أو الطبقات والفئات المختلفة. فلكل من هذه بعض الخصوصية، كما هي الحال بالنسبة للجماعات البدوية مقابل الريفية الحضرية، والتباين بين الأجيال، أو التباين على أساس الوضع المكاني والطبقة (عثمان، 2006، ص160) .

وتتجلى الثقافة الفرعية أحيانا في النمط اللغوي، والملبس والعادات والتقاليد، كما هو الحال في الجزائر التي تتميز بتنوع ثقافي في مختلف المناطق، كمنطقة القبائل ومنطقة جبال الأوراس وضواحيها وبني زاب في غرداية وكذا التوارق وغيرهم، فهناك بعض اللهجات وبعض العادات والتقاليد في طريقة الملبس والمأكل تتميز

كل منطقة عن أخرى ولكن تباين البناء الإجتماعي كما ي شير إبراهيم عثمان(2006): " يفرز تباينا ثقافيا داخل المجتمع الواحد، ولا يعني هذا التباين وجود ثقافات مستقلة ومختلفة كليا عن باقي الجماعات، وإنما يعني اشتراك هذه الجماعات في الأسس الثقافية المحورية، واختلافها في بعض الخصائص الفرعية" .

وقد أضحى مفهوم الثقافة الفرعية من اهتمام كثير من الأنتربولوجيين المختصين في علم الاجتماع نظرا للأهمية الكبيرة التي يحضى بها خاصة في المجتمعات الحديثة .

حيث يشير علماء الاجتماع إلى أن المجتمعات الكبيرة الحديثة تتألف من جماعات مختلفة لكل منها مجموعة من المعايير والقيم الخاصة مكونة ثقافة فرعية في إطار الثقافة العامة للمجتمع توجه سلوك كل من هذه الجماعات، وترسم لها أهدافها الحياتية، وهذه الثقافات الفرعية شأنها شأن الثقافات العامة، تلقن الشخص ما يجب عليه أن يفعله (حسن، 2007، ص70) .

وبعد توضيحنا لمفهوم الثقافة الفرعية، نجد أن هذا المفهوم يتصل ويتداخل أيضا مع مفهوم أخر، ألا وهو الثقافة الهامشية وهي تلك الثقافة التي لم يعد لها تأثير في المجتمع ولم تستطع أن تواكب العصر الذي تعيش فيه، إلا أنها لا زالت تحافظ على عاداتها وتقاليدها وطقوسها ومفاهيمها الخاصة بها .

يمكن القول: إنها تلك الثقافة الأفقر في مكوناتها التكيفية أما التغيرات الجديدة كثقافة البداوة في مجتمعات حديثة أو تغز السير باتجاه التحديث كحال معظم مجتمعاتنا العربية أو كثافة السكان الأصليين في أستراليا أو الهنود الحمر في أمريكا فهذه ثقافات تقع على تخوم حضارية متقدمة وسيرورة التغير الاجتماعي الثقافي ترهص بزوالها وتحولها تدريجيا إلى فولكلور أو ذكريات من الماضي (حسن، 2007، ص71) .

إلا أننا نعقب على هذه الفقرة التي يساوي فيها سير إبراهيم حسن بين الثقافة العربية وثقافة السكان الأصليين في أستراليا أو الهنود الحمر، واعتبارها أيلة للزوال وتحولها إلى فولكلور أو ذكريات من الماضي، فهذا يعتبر حكم مجحف وقاس على الثقافة العربية التي تستمد قيما من التعاليم الإسلامية التي تدعوا إل عمارة الأرض ونشر مبادئ سامية كالإحسان إلى الغير والتعاون والتكافل والإخاء... إلخ، فهذه قيم إنسانية راقية وتدعوا

إليها كل الشعوب المنحصرة ولا يمكن لها أن تصير في يوم من الأيام فولكلورا أو ذكريات من الماضي أو أنها ستؤول إلى الزوال، لأن هذا الحكم سيكون حكم سطحي ينقصه الفهم العميق والتحليل الدقيق لسبب تخلف العرب والأمة الإسلامية عامة لأن هناك أسباب سياسية كاستبداد الحكام والأجانب أسباب تاريخية كاحتلال أراضيها من الأجانب الذين اغتصبوا ثرواتها وجهلوا أبناءها وفقروا شعوبها وشوهوا تعاليم دينها فاستبدلوا التوكل بالتواكل واستبدلوا العلم بالزندقة والشعوذة وبدل الاعتمادي على الكفاءة في تقلد المناصب حل محلها العز والنسب والتزلف إلى الحكام بغية المصالح الشخصية وعوامل أخرى أدت إلى تخلف هذه الأمة، ولكن فيها الأصلية لن تموت، فهي تحتاج في بعض الأحيان إلى تجديدها حتى تفهم الواقع الذي تعيش فيه فضلا عن تجديد الخطاب الديني الذي يتعين أن يستقطب أكبر فئة من الناس خاصة وأن العالم صار قرية صغيرة بفضل التطور التكنولوجي والإعلام الحديث والفضائيات وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال، فيجب أن يكون هذا الخطاب منبرا لنشر قيم التسامح والتضامن والتعاون لا قيم العنف والإرهاب والكره اتجاه الأخر .

ونلاحظ أن أوروبا لم تخرج من ظلمات القرون الوسطى إلا باحتكاكها بالعالم الإسلامي خاصة في الأندلس فقد تتلمذ كثير من علمائها على أيدي أساتذة مسلمين، وتشبعوا بقيمهم فأسهموا هـ م بدورهم في نهضة أوروبا وتطورها وتقدمها .

فالعالم العربي والإسلامي لا يحتاج إلى أن يدوس على ثقافته وقيمه حتى يواكب العصر الحديث الذي يعيش فيه، بل يحتاج إلى تفعيلها في الواقع ومحاولة فهمها على أيدي علماء ومفكرين معتدلين ونشرها للناس حتى لا يكون هناك مجالا للمنشدين والمتعصبين .

4-الثقافة المضادة:

يرتبط هذا المفهوم بالمعنى العام للثقافة الفرعية، لكنه يختلف عنه بأنه قصدي قائم على رفض الثقافة القائمة أو جزء منها، سواء من حيث الأهداف أو الوسائل أو كلاهما، أو أنه يمثل خروجا عما هو مقبول اجتماعيا مثال هذا الأخير ثقافات الجماعات الإجرامية أومتعاطي المخدرات(عثمان، 2006، ص 161) كما يمكن للثقافة المضادة ان تكون مبنية على أسس التناقض الديني أو السياسي أو العرفي وهذا ما يحدث في كثير من الأحيان تغيرات اجتماعية وثقافية في بلدان عدة

5- ثقافة الفقر:

أسلوب حياة المعيشة الذي تمارسه الفئات والطبقات الفقيرة، وهو الأسلوبالمتأصل في قيمها، وعاداتها الاجتماعية، وطرق التفكير والتربية، وتصير جزء رئيسيا في أسلوب حياتها

(البصير، 2010، ص 181)

ومن أمثلة ذلك القدرية او الفهم الخاطئ لمفهوم القضاء والقدر لبعض الجماعات في المجتمعات الإسلامية ان الفقر قدر محتوم وامر محسوم من السماء ولا سبيل للسعي وتقديم الأسباب لتحسين ظروفهم المعيشية فيركنون إلى الاتكال والتواكل والعطالة والبطالة إلى جانب قيم أخرى تكرس الفقر في المجتمعات المتخلفة كاعتمادها على الفرد والنسب في إسناد المناصب

6- الثقافة السياسية:

هي القيم والمعايير، والتقاليد والأعراف السياسية المتأصلة في الممارسة السياسية في بلد ما والتي يعكسها رجال الحكم والسياسة في سلوكهم ويسترشدون بها في التعامل مع مختلف القضايا السياسية والثقافة السياسية هي ثقافة النخب والأحزاب السياسية سواء كانت في السلطة السياسية أو الحاكمة(البصير، 2010، ص 180).

7- الثقافة الجماهرية:

يدل هذا المصطلح على لون من الثقافة ينمو في البيئات الصناعية والمجتمعات الحضرية بفضل انتشار التعليم في هذه البيئات وتعدد وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون، وهو لون يلائم عامة أفراد الشعب في هذه البيئة(بن نعمان، 1996، ص 231).

ونعقب على هذا التعريف الذي نعتبره قاصرا، لأن الثقافة الجماهرية لم تعد تقتصر على المجتمعات الصناعية أو الحضرية فحسب، بل شملت جميع المجتمعات على اختلاف طابعها الاقتصادي أو نمط الحياة السائدة فيها وذلك بفضل وسائل الإعلام التقليدية أو عن طريق الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي حيث صار العالم عبارة عن قرية صغيرة

إن ما يوجه الرسالة الإعلامية حاجات اقتصادية وآليات السوق المرتبطة بالمؤسسات الاقتصادية التي تسعى للربح، أما الشق الثاني للرسالة فيغلب عليه محاولة تشكيل الإنسان بما يتفق مع النظام السياسي القائم، فيصبح الإنسانهدفا وفريسة هذا الإعلام، يعلمه بطرق فنية مدروسة، ما يأكل وما يلبس وأين يقضي إجازته، وما يرى من أفلام، وما يقرأ من مجلات وكتب(عثمان، 2006، ص 176).

8- المركز الثقافي:

يستعمل هذا المصطلح للدلالة على ذلك الجزء من المنطقة الثقافية الذي يتصف بأكبر قدر من تركيز العناصر الثقافية المميزة للمنطقة (كما يقال أي الاستعمال اللغوي الشائع) ومركز إشعاع حضاري(بن نعمان، 1996، ص 239)

عندما تتسع رقعة المجتمع يظهر مكانا يمثل مكان تبلور الثقافة وتطورها وانبعاثها، وقد ينشأ اكثر من مركز فالمدينة المنورة تمثل المركز الثقافي الأول للامة الإسلامية ولكن بعد الفتوحات ظهرت دمشق ثم الكوفة فالبصرة ثم بغداد والقاهرة، إن تعدد المراكز يتيح التعددية الثقافية، كما أنه يمثل السمات الجديدة في الثقافة فإذا اردنا دراسة السمات القديمة ذهبنا إلى ابعد المناطق عن هذه المراكز(عثمان، 2006، ص 162)

9- الصدمة الثقافية:

جاء هذا التعبير على يد كاليرثواوبيرغ ليدل على اثر الانتقال المفاجئ لثقافة أخرى أو حتى وضعا ثقافيا جديد، يفقد الإنسان في هذه الحالة ما كان مألوفا ومتوقعا فيما تعود في حياته، ويواجه موقفا جديدا غريبا محيرا، ليست لديه المعرفة أوالخبرةأو كيفية التعامل معه(عثمان، 2006، ص 174)

وتكون هذه الفكرة صادقة بشكل كبير على المهاجرين الذين تنطبق عليهم فكرة الصدمة الثقافية عندما ينتقلون إلى مجتمعات أخرى فيفاجؤون بثقافة غريبة ومغايرة لما ألفوه وتعودوه، وهذا ما يطلق عليه بمرحلة الشعور بالأزمة وغالبا ما تنتهي إما بالتكيف مع الثقافة الجديدة أو الفشل في التكيف مع هذه الأوضاع الجديدة

10- الثقافة الشعبية:

يستعمل هذا المصطلح للدلالة على الثقافة التي تميز الشعب والمجتمع الشعبي وتتصف عادة بامتثالها للتراث والأشكال التنظيمية الأساسية (بن نعمان، 2006، ص 230)

11- المثقف:

في الواقع ان مفهوم أو كلمة مثقف لم تظهر في الأدبيات والفكر حتى أواخر القرن التاسع عشر وكان ذلك في فرنسا بصدد قضية دريفوس الشهيرة حين صدرت مقالة للروائي الفرنسي إميل زولا تحت عنوان إني متهم عام 1898، يدافع فيها عن الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس المتهم بقضية تجسس تبين فيما بعد أنه بريء منها(حسن، 2007، ص 30- 31)

وحينما وقع عدد كبير من المفكرين والباحثين وأساتذة على عريضة تؤكد الأمر نفسه حيث بلغ تعدادهم حوالي الألف سميت حينئذ "تعبئة المثقفين" ومنذ ذلك الحين عرف بما يسمى كلمة ومفهوم المثقف لأول مرة

ويعرف سمير إبراهيم حسن (2007) المثقف بقوله: ترتبط الثقافة بالفرد الشخص عندما نشير إلى شخص بأنه مثقف فإنها تعني سعة افقه المعرفي واهتمامه وسعيه إلى تطوير مواهبه وأفكاره ومعارفه بدراسة

الآداب والعلوم والفنون والسياسة ومدى تحصيله منها، وما هي اتجاهاتها في التصنيفات السائدة؟ دينية علمانية سلفية حديثة... الخ، وعندما ترتبط الثقافة بصفة الإنسان من اجل إصدار حكم أو تحديد مستواه المعرفي والفكري والعلمي باعتبار الفرد عضو في المجتمع فإنها تمثل حصيلة من المعارف والأفكار والاطلاعات والذوق وبذلك فإن للثقافة تأثير كبير على الفرد كما يشير سمير إبراهيم حسن (2007) حيث تؤدي إلى:

أ- توسيع أفق الفرد وجعله اكثر قدرة على التكيف الاجتماعي في المجتمع أو بيئة العمل أو المجتمعات التي يمكن ان ينتقل إليها

ب- تجعل المرء اكثر قدرة على فهم ما يدور حوله واكثر تمكنا من قدراته الذاتية العقلية والتحليلية

ج- الثقافة (بمعنى الاطلاع والمعرفة خارج المهنة او التخصص الضيق) تجعل الفرد اكثر قدرة على الاستيعاب والإبداع وأوسع أفاقا في مجال المهنة أو التخصص الذي يعمل فيه، واكثر قدرة على توظيف ما تعلمه وتلقاه في الواقع الحقيقي

د- تخفف التعصب والانفلاق وتجعل الشخص أكثر قدرة على الاختيار وعلى المشاركة الاجتماعية.

المحاضرة الثانية مكونات الثقافة

- الاديولوجيا و الدين
- القيم والمعايير
- النظم الاجتماعية
- المكانة
- الطقوس و الشعائر
- العادات و التقاليد
- الاعراف
- التراث الشعبي
- اللغة

تمهيد:

إن مفهوم الثقافة من المفاهيم الذي يشمل معناه معاني ودلالات كثيرة ويمكن أن نلخص ذلك بالقول حسب ما ذكرنا سابقا أن الثقافة تشمل كل ما هو مادي ومعنوي في حياة المجتمعات، و من اهم مكونات الثقافة تتمثل في الاديولوجيا و الدين، القيم و المعايير، النظم الاجتماعية، المكانة الاجتماعية، العرف و تفصيل ذلك سيكون كما يلي:

اولا/ الإيديولوجيا والدين:

1- الاديولوجية :

يمكن تعريف الإيديولوجيا، بأنها مجموعة من المعتقدات والأفكار والقيم المعبرة عن منظور معين موجه عادة نحو فعل، ونتيجة للإيديولوجيا يتم قبول أو رفض وضع اجتماعي، مثال هذه عملية ونظم توزيع السلع والخدمات في المجتمع وتوزيع المكافآت فالبعض يعتبر اللا مساواة فيها أمرا ضروريا وطبيعيا بينما يراها البعض الآخر أمرا مرفوضا يقوم على الاستغلال (عثمان، 2006، ص 170)

فالماركسية الأولى ترى أن أساس الصراع الاجتماعي يعود بالدرجة الأولىإلى النظام الرأسمالي وتقسيم المجتمع إلى طبقة تملك راس المال وطبقة العمال التي لا تملك إلا جهد عملها، حيث تقوم هذه العلاقة على أساس الاستغلال، ففائض القيمة الذي يحققه الإنتاج لا يعود بالأرباح الطائلة إلا على أصحاب المصانع بينما يعيش بقية العمال في الشقاء والفقر.

ولذلك يدعو الماركسيين إلى فض هذا الاستغلال عن طريق ثورة البروليتاريا، وإقامة دولة اشتراكية شيوعية يكون قوامها المساواة بين جميع أفراد المجتمع عن طريق تعميم الملكية العامة

بينما الرأسمالية فهي عكس ذلك، فهي تنطلق من مبادئ تختلف شكلا ومضمونا عن الاشتراكية

ومن أهم هذه المبادئ التسليم بمبدأ الفروقات الفردية وفتح المجال للأعمال الحرة والاستثمار واقتصاد السوق تحت شعار دعه يعمل دعه يمر.

فالناس حسب الرأسماليين لا نستطيع أن نسوي بينهم، سواء في الدخل أو في المكانة الاجتماعية، فمنهم الغبي ومنهم الذكي ومنهم المجتهد ومنهم الكسول ومنهم النجيب ومنهم البليد، ولذلك يرون أن فكرة المساواة بي جميع الناس في الدخل فكرة خاطئة

وبناء على ذلك فإن الإيديولوجية هي التي تعطينها المنطلقات التصورية وتزودنا بالمبادئ العامة التي من خلالها يدرك الفرد علاقته مع الآخر وعلاقته مع الكون ومن خلالها أيضا تتشكل النظم الاقتصادية والسياسية والتربوية والاجتماعية والثقافية

2- الدين:

يعتبر الدين من أهم المكونات الثقافية نظرا لما له تأثير كبير على طريقة تفكير الأشخاص و سلوكاتهم، فالدين هو الذي يمنح الأفراد نظرتهم الى الوجود ككل ويعطيهم فكرة عامة عن الحياة وحقيقة الموت وغايته وجوده في هذا الكون ويفرض تشريعات وطقوس معينة يلتزم بها مريديه ما داموا على قيد الحياة

ونظرا لأهمية الدين سواء على مستوى الفرد أو المجتمع نحاول أن نقدم له مجموعة من التعاريف التي حاولت أن تحدد مفهومه

2-1- تعريف الدين لغة:

جاء معنى الدين في اللغة العربية بمعان كثيرة من أهمها كما يذكر فرج الله عبد الباري (2006) كما يلي:

- الطاعة:

يقال دان له يدين دينا اذا اصحب وانقاد وطاع، وقوم دين أي مطيعون منقادون، وقد دنته أطعته، ومنه قول عمرو بن كلثوم

وأياما لنا غرا كراما عصينا الملك فيها أن ندينا

واصل الدين كالملة لكنه يقال باعتبار الطاعة والانقياد للشريعة

- **الحكم القاضي:**

ومنه الديان وكان على ديان هذه الأمة أي قاضيها وحاكمها ومنه قوله تعالى: "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك" (سورة يوسف الآية 76)

أي في حكمه وقضائه

- **السياسة والقهر:**

- **الجزاء والحساب:** الحكم مصداقا لقوله تعالى: "أءنا لمدينون" سورة الصافات الآية 53

أي مجزون محاسبون

- **العادة والشأن:** يقال مازال ذلك ديني وديدني أي عادتي وشأني

- **الذل:** يطلق الدين على الذل، والمدين العبد.

وإذا قلنا: (دانه دينا) عنينا بذلك ملكه، وحكمه وساسه وديره وقهره وحاسبه، وقضى في شأنه وجازاه وكافاه.... وإذا قلنا: دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا أي اعتقد هاو تخلق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا وعمليا(مصطفى، 1991، ص 8).

وتشتق كلمة الدين Religion من الفعل اللاتيني Religare ، بمعنى ربط، وقد اخذ بهذا التفسير العلامة دىلاجراسرى وذهب إلى أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو بآلهة بمعنى أن كل ديانة تجمع بين معتنقي الديانة الأحياء منهم والأموات، وآلهتهم في مجتمع واحد يعتبر جزءا لا ينفصل عن الكون الطبيعي والوجود الحيوي.(رشوان، 2004، ص 6)

كما يعرف راد كليف براون الدين في ضوء العقيدة والعبادة، واتصالها بفكرة الألوهية، فيقول:

في كل مكان يكون الدين تعبيرا عن شكل أو آخر عن إحساس بالاعتماد والتبعية لقوى خارج انفسنا، هذه القوى ينظر إليها على أنها روحية أو أخلاقية. وأن التعبير الأساسي عن هذا الإحساس هو الشعيرة(رشوان، 2004، ص 15)

2-2- تعريف الدين اصطلاحا:

اختلف الباحثون والمختصون في تحديد مفهوم الدين وذلك نظرا لعدة اعتبارات من أهمها:

- اختلاف معظم الأديان في الشكل والمضمون ولذلك لا نستطيع أن نحصرها في تعريف وجيز

- الدين الواحد قد يحتاج إلى فقرات من اجل تحديد مضمونه

- معظم الباحثين علمانيون لا دين لهم ورغم ذلك نذكر بعض التعاريف التي حاولت أن تحدد مفهوم الدين من أهمها:

* يعرف (تايلور) الدين عند الشعوب البدائية بأنه "الاعتقاد بكائنات روحية، ويعني تايلور في تعريفه السابق بالكائنات الروحية بأنها كائنات واعية لها خصائص تفوق ما لدى البشر، فالعقلية البدائية –فيما يرى تايلور– تفترض تداخل عالم الأرواح (الممثل في أنواع الأرواح، الجن، العفاريت،... الخ) بعالم البشر، كما يدخل أيضا في عدادها الآلهة بالمعنى المعتاد" (القماطي، 2003، ص 20)

كما تتمثل جل التعريفات عند بعض علماء الاجتماع الذين أوضحوا مدلول كلمة الدين فقالوا أنه ينم عن العقيدة والعبادة، وهي تقابل عند المسلمين الأصول والفروع، والعقائد حالات فكرية أو مجموعة من التصورات الذهنية، أما العبادات فهي مبادئ عملية تعبدية فهي طرق عملية للسلوك ينبغي أن يقوم بها الإنسان حيال أشياء مقدسة (رشوان، 2004، ص 13)

* ويعرف جيمس فريزر الدين بأنه استرضاء القوى التي تتعالى على الإنسان والتي يعتقد بأنها تتحكم في الطبيعة والحياة الإنسانية (القماطي، 2003، ص 21)

2-3- نظريات حول اصل نشأة الدين:

حاول كثير من العلماء تقديم تفسير حول اصل نشأة الدين، ومن اهم هؤلاء العلماء هم الوضعيون والذين تأثروا بنظرية دارون حول الارتقاء كون أن الإنسان لم يخلق إنسانا سويا كما نعرفه اليوم وإنما هم امتداد لصيرورة من التطور للكائنات الحية وعلى هذا الأساس نحاول أن نستعرض أهم هذه النظريات وهي كالأتي:

ا- النظرية الطبيعية:

وهي النظرية التي تقوم على أساس فكرة نشأة الدين الليتأملالإنسان في الطبيعة والتي تورث في نفسه الدهشة أو الخوف والرهبة

والنظرية الطبيعية تضم اتجاهين اثنين، اتجاه يعتمد في تفسير نشأة الدين على الطبيعة المسقرة واتجاه آخر يعتمد في تفسير النشأة على الطبيعة الشاذة، التي تبعث بدورها في النفس الخوف والرهبة

- الطبيعة المستقرة:

يمثل هذا الاتجاه (ماكس موللر) والذي فسر نظرته حول الدين وفصل آراءه في كتابه "علم الأساطير المقارنة"

وهو يرى أن العامل الأساسي في إثارة الفكرة الدينية هو التأمل والنظر في مشاهدة الطبيعة التأمل الذي يجعل الإنسان يشعر بمزيد من الدهشة والعجب، فيخلص من التفكير إلى أنه محاط بقوى مستقلة عن إرادة البشر يخضع أفراد المجتمع لتأثيرها ولا قدرة لهم على تعديل نظامها(مصطفى، 1991، ص 37)

فهذا الإحساس الغامض الذي يكنه الإنسان نحو ما يدهشه في الطبيعة يتحول إلى صيغة دين

ومن اهم المبادئ التي قامت عليها هذه النظرية كما يلي:

- أن الفكر هو انعكاس للواقع، وأنه لا يوجد شيء مسبق في عقل الإنسان إن لم يعانيه بالملاحظة والتجربة وبذلك فهو يرفض فكرة الديانات السماوية ووجود إله ارسل رسله إلى خلقه

- أن الألفاظ المقدسة في الديانات القديمة أو اللغات الأقدم في تاريخ البشرية كاللغة السنسكريتية أو اللغات الهندو أوروبية تشترك في أسماء لها علاقة بعناصر الطبيعة.

لقد استند ماكس موللر في اعتقاده على الوثائق التاريخية، منطلقا من دراسة (أسفار الفيدا) الهندية (كتب الديانة البراهيمية) حيث قارن بين التماثيل والأساطير القديمة، فوجد معظم أسماء الهند- أوروبية هي

كلمات دالة على ظواهر طبيعية، فإله النار له منزلة سامية بين آلهة الفيدا... ولها معاني مقابلة في اللغات القديمة سواء في اللغة السنسكريتية أو اللغات الهند أوروبيةالأخرى(القماطي، 2003، ص 53)

- الطبيعة الشاذة:

رائد هذا الاتجاه هو جيفونس، ويرى هذا العالم الإنجليزي أن مشاهدة الإنسان للظواهر الطبيعية العادية لا تورث في نفسه العجب أو الدهشة، لأنه تعود عليها وألفها ولا يحتاج إلى تفسير لذلك.

أما الحوادث الأرضية المفاجئة والعوارض السماوية النادرة التي يضطرب بها النظام العادي كالبرق والرعد والعواصف والصواعق والخسوف والطوفان والزلازل،... فإن تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس في تنبيه الغافل....ان هذه الحوادث الفجائية الرهيبة تزعج من يشهدها وتحفزه إلى السؤال عن مصدرها وبما أنه لا يرى لها سببا ظاهرا، فإنه يضطر أن ينسبها عقليا إلى سبب خفي ذي قوة هائلة(مصطفى، 1991، ص 37) ومن هنا كانت نشأة الأديان.

ومن اهم الانتقادات الموجهة إلى هذه النظرية كما يلي:

- إن التأمل فحسب في الطبيعة قد يكون وسيلة من وسائل حبك الأساطير والخرافات ولا يهدي إلى الدين الحقيقي الذي يكون قوامه الأسس العقلية والمنطقية كما هو موجود في عقيدة الدين الإسلامي، وإن دور التأمل في الظواهر الطبيعية لا يعدو تعزيز الإيمان بمصدرها والتشبث بتعاليمها

- أن شعور الرهبة والخوف من القوى العلوية لا يكفي وحده لتفسير الفكرة الدينية... فلا بد لتحقيق الشعور الديني من مقاومة الخوف والرهبة بما يعادلها من الأمل والرجاء الذين يبعثان على الدعاء والتضرع، هذه هي حقيقة التدين. (مصطفى، 1991، ص 37)

ويضيف حسن علي مصطفى (1991) لنقد النظرية الطبيعية حيث يقول: حيث قارن (موللر) بين أسماء الآلهة في اللغات الهندو أوروبية أو ما يعرف باللغة السنسكريتية... وخرج من هذه المقارنة، بأن اشتراك هذه اللغات ذات الأصل الواحد في أسماء الآلهة، وارتباط دلالات هذه الألفاظ بعناصر الطبيعة، دليل على أن

الديانة الأولى للإنسان ديانة طبيعية وهي نتيجة كما ترى مبنية على أساس أن اللغة السنسكريتية هي اقدم لغة عرفها الإنسان، وهو زعم لا يقوم عليه دليل، والمسألة فيها خلاف كبير

ومن غير المقبول أن تبقى نتيجة حقيقية على مقدمات طينية

ب- النظرية الطوطمية:

والطوطمية مشتقة من كلمة طوطمtotem وهي في الأصل من كلمات سكان أستراليا، وسكان أمريكا الأصليين، فكل عشيرة تتخذ طوطما لها، أي شعارا يلتفون حوله ويجتمعون به، ويعتقدون بأن هناك رابطة قدسية تربطهم به، والطوطم إما أن يكون حيوانا أو نباتا في النادر جمادا (لونج، g. long) أول من ادرج مصطلح طوطم في تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ضمن كتابه المنشور في لندن عام 1971 ثم تلت كل من كتابات (فريزر) و (بالدوين سبنسر) و(جيلين) و (دوركايم) عن الطوطمية والطوطم كما ذكرنا هو شعار العشيرة ككل ومع مرور الوقت صار لهذا الطوطم تقديس خاص حتى ظهر ما يسمى بالدين

والى جانب طوطم العشيرة فإن لكل فرد طوطمه الخاص به حيث "يرتبط الفرد البدائي بطوطمه الخاص بعلائق وثيقة تجعله يعتقد أنه يشاركه خصائصه الكيفية والذاتية، فإن كان طوطمه هو النسر، ويعتقد كذلك أنه حاميه، فلا يقتله ولا يذبحه ولا يتناول لحمه(مصطفى، 1991، ص 63)

واهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية كونها قامت على أساس ملاحظة أصحابها للقبال البدائية المعاصرة، وكيف أنهم قدسوا الرموز التي اتخذوها شعارا لهم واخذوا يتقربون إليها عن طريق طقوس دينية معينة، وبناء على ذلك صيغة هذه النظرية

إلا أنه في حقيقة الأمر لا يوجد دليل على أن هذه القبائل البدائية المعاصرة تمثل مهد البشرية وأنه بإمكانها أن تعطينا صورة حقيقية عن نشأة الدين، إضافة على ذلك لا نستطيع أن نفسر الماضي على أساس الحاضر فضلا عن ذلك فقد اكتشف مؤخرا قبائل بدائية في أستراليا تعبد إله واحد ولا تعبد الطوطم .

ج- النظرية الروحية:

هي تلك النظرية التي تقرر أن الإنسان الأول عبد الروح .واعتقد أن لجميع الموجودات روحا، حيث اعتقد بوجود قوة قدسية للأرواح ،ومن أشهر القائلين بهده النظرية العالم الديني " تايلور TAYLOR " ثم أخذ بها عالم الاجتماع (هربرت سبنسر H.SPENCER)حيث ذهب الاثنان إلى القول بأن أقدم دين في الوجود هو " الاعتقاد في الأرواح و عبادتها " (القماضي، 2003 ، ص 47)

في شطر تايلور نشأة الفكرة من اعتقاد الإنسان الأول في الحياة المزدوجة التي يحياها في يقظته من جهة ، وفي نومه من جهة أخرى ، فقد تصور الرجل البدائي الحياتين على أنهما حقيقيتان واقعتان ، بمعنى أن ما يراه في نومه يعبر تعبيرا يقينا عن حياة حقيقية لها مقومات الحياة التي يحياها أثناء اليقظة (مصطفى ،1991 ، ص 44). فعندما يرى نفسه في المنام أنه سافر أو قاتل أو صارع أحد الحيوانات المفترسة أو أنجب ولدا آخر أو أكل ثمرة معينة فهو يعتقد أنه قد قام بهده الأفعال فعلا وهي أمور حقيقية عليه أن يؤمن بها .

ومن هنا راودت الإنسان البدائي فكرة الروح، وصار يعتقد أن الإنسان عبارة عن جسم وروح

إلا أن هذه الروح لا تتخذ صفة القداسة إلا بعد مفارقتها لجسد الإنسان، وحينها يصبح لها قدرة التأثير على حياة البشر سواء بضره أو نفعه بمرضه أو شفائه بموته أو حياته... وإثر هذا الاعتقاد صار الإنسان البدائي يتقرب إلى الأرواح عن طريق القرابين والأضاحي والطقوس.

وبما أن الموت هو الذي حول تلك النفس إلى روح مقدسة، فإن أول عبادة إنسانية في تصور تايلور إنما اتجهت الى عبادة الموتى، أي عبادة نفوس الأسلاف، وكانت الطقوس الأولى طقوسا للموت، وكانت القرابين الأولى قرابين غذائية لإشباع حاجات الموتى، وكانت المذابح التي تقدم عليها هذه القرابين هي القبور واللحود(الخشاب، 1970، ص 111).

وأما عن كيفية الانتقال من عبادة الأرواح إلى عبادة الكواكب والشمس والقمر والينابيع فإن أصحاب النظرية الروحية انقسموا إلى قسمين:

قسم يتزعمه تايلور حيث يعتقد أن العقلية البدائية فيها من سذاجة الطفولة ما يقصر بها عن التمييز بين الجماد والحيوان، ويجعلها تعامل كلا منهما معاملة الكائنات الحية، كما يداعب الطفل دميته ويناجيها، كأن فيها روحا(مصطفى ،1991 ، ص 44)

وأما هربت سبنسر الذي يمثل الاتجاه الثاني فيرفض هذا الطرح ويعتقد أن انتقال الإنسان البدائي من عبادة الأسلاف إلى عبادة الكواكب والنجوم يرجع بالأصل كونهم في القديم كانوا يسمون انفسهم بأسماء عناصر الطبيعة مثل (نجما) أو (نمرا) أو (شمسا) فانتقل التقديس من أصحاب تلك الأسماء إلى الأشياء المسمات بتلك الأسماء نفسها

ومن أهم الانتقادات التي يمكن أن نوجهها إلى هذه النظرية، أنها تقوم على أساس تفسيرات تخمينية، ظنية، والحقيقة العلمية كما نعرف لا تقوم على التخمين والظن بل على أدلة واقعية موضوعية

د- نظرية هنري برجسون:

هنري برجسونH. BERGSON هو فيلسوف فرنسي يرى أن الديانات تنقسم إلى قسمين هما:

- ديانات مغلقة أو استاتيكية
- ديانة دينامية أو نامية

أما الديانة المغلقة فهي تحدث نتيجة الحاجة الاجتماعية لها، وذلك راجع للاعتبارات التالية: أنه لما كان نظام المجتمع وتماسكه يتطلب من الفرد انخلاعه عن بعض رغباته وتضحيته بجانب من حريته، وتحمله أعباء تفتضيها مصلحة غيره... كان لا بد من قوة أخرى تحفظ التوازن، وتآخي بين مصالح الفرد والجماعة، تلك القوة أعدتها الفطرة الإنسانية في النفوس حين أشربتها الفكرة الدينية(مصطفى ،1991 ، ص 44)

وعن الديانة النامية او الدينامية فيعتقد هنري برجسون أن مصدرها الحدس، وهذا الحدس لا يصل إليه إلا الصفوة من الناس الذين أفنوا حياتهم لصالح البشرية وهدفهم في الحياة هو الكمال والمحبة... الخ

ومن أهم الانتقادات التي نوجهها الى هذه النظرية، أن الحاجة الاجتماعية للضبط الاجتماعي وفرض النظام على الجميع، كان بإمكان المجتمع أن يلجأ إلى العقد الاجتماعي الذي يفرض عليه الحقوق والواجبات دون اللجوء إلى الخيال وحبك الأساطير

أما الصفوة التي تصل عن طريق الحدس إلى الفكرة الدينية فكما لا يصل غيرهم، هل الطبيعة تميز بين ما هو خير وشر.

ثانيا/ علاقة الثقافة بالدين:

تكشف الدراسات الأنثروبولوجيا والاجتماعية للشعوب والثقافات عن وجود الدين كعنصر لا يخلو من مجتمع ولا ثقافة، وهو ما يدل على الدور الجوهري الذي يقوم به الدين في حياة المجتمع وبناء الثقافة، ونستطيع أن نؤكد بعد استقرائنا لمختلف الثقافات أنه ما من ثقافة إلا وكان الدين هو العامل الرئيسي في انبثاقها وتوحيد عناصرها، كما أنه هو الذي يعطيها عنايتها العليا(زعيمي 2004، ص 260)

وهناك كثير من الباحثين والعلماء الذين ركزوا على أهمية الدين في حياة الشعوب وفي كيفية صقل ثقافتهم والارتقاء بها إلى المستوى الحضاري، ومن هؤلاء المفكرين نجد المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يعتبر أن أساس ميلاد أي حضارة يرجع بالأصل إلى الفكرة الدينية والتي بدورها تزود النفس بطاقة روحانية تكون هي المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني

وهذه الطاقة مصدرها الفكرة الدينية أو ما يقوم مقامها، كأي فكرة يؤمن بها أصحابها ويعتقدون صدقها فتصبح لهم دينا كالفكرة الشيوعية بالنسبة للشيوعيين مثلا، فللحضارة ميلادان: الأول بظهور الفكرة الدينية، والثانية تسجيلها في الأنفس ودخولها أحداث التاريخ (قلاني، 2007، ص 75)

وترجه أهمية علاقة الدين بالثقافة، لأن أساس غرس القيم الاجتماعية في نفوس الأجيال القادمة ترجع إلى قيم دينية بالأصل، فالدين هو الذي يحدد الواجب والممنوع والمحمود والمذموم والخطأ والصواب على غرار دور القيم الاجتماعية، كما أنه هو الذي يزود الأفراد بالمنطلقات التصورية حول أصل الإنسان ومنتهاه، وعلاقة الإنسان بالآخر وعلاقته بالطبيعة والكون كله، وكل هذا يدخل في صميم مفهوم الثقافة وبذلك تتجلى مدى علاقة الدين بالثقافة وهذا ما جعل " بوجه خاص يرى بعض الباحثين الغربيين من بينهم إليوت أن الثقافة ليست إلا تجسيدا للذين ورد بذلك على أرنولد الذي عد الثقافة أشمل من الدين"(زعيمي، 2004، ص 260)

ثالثا/ القيم والمعايير:

1- القيم:

القيم هو مصطلح حديث بالمعنى الذي نستعمله له اليوم، بدأ في اللغات الأوروبية في نهايات القرن التاسع عشر ميلادي ولم يتداول استعماله إلا في القرن العشرين يسمى باللغة والإنجليزية VALUE والألمانية WERT وأخذوه العرب عن تلك اللغات وترجموه ترجمة صرفية لهذا اللفظ

وهو المعنى الذي يدل على المقابل أو العوض المادي المقدر ثمنا للشيء، فأصل معنى اللفظ إذن اقتصادي مادي، ثم انتقل المعنى من الدلالة المادية المحسوسة إلى دلالات مجازية معنوية متعددة، فاصبح لكثير من الأشياء وجوانب الحياة قيمة ليست مادية بالضرورة نتساءل عنها ونقدرها(الأسد، 2001، ص 32)

وهناك تعاريف عديدة لمفهوم القيم نذكر من بينها:

تعرف القيم بانها "معان" وأفكار مجردة جماعية حول الخير والشر، والصحيح والخطأ والمستحب والمكروه والمسموح والممنوع ويعبر التراث الشعبي عن مثل هذه القيم كالشجاعة والكرم والوفاء فيمجدها، وعن قيم مضادة كالجبن والبخل والخداع فيعيبها بهذا تمتزج القيم بأهداف الجماعة، وتصبح من أسس التنشئة الاجتماعية(عثمان، 2006، ص 166).

كما يعرف كلوكهون القيم بأنها "تصور، ظاهر أو مضمر لما هو مرغوب، يميز الفرد أو الجماعة ويؤثر في الاختيار بين الوسائل والغايات المتاحة للسلوك "(عماد، 2006، ص 142)

وتعرف أيضا بأنها تمثل محددات السلوك وأنها لب الثقافة الإنسانية، كما أن مفهوم المرغوب فيه هو حجر الزاوية في تحديد مدلول القيم وهذا الأمر له وجهاته، ذلك لأن القيم هي التي تحدد لنا ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه، وأنها مستويات قيمية نحكم من خلالها على كل ما حولنا من مكونات الثقافة، وتوجه تفضيلاتنا الاجتماعية(التابعي، 1985، ص 42)

وبناء على التعاريف سابقة الذكر، نجد أنفسنا أمام إشكالات كثيرة تتلخص في تدخل مفهوم القيم مع مفاهيم عديدة أخرى، من أبرزها الاتجاهات والمعتقدات والدوافع والرغبات... الخ

ويرجع هذا الغموض إلى أن المصطلح مرتبط بالتراث الفلسفي من جهة ويقع على ارض مشتركة بين مجموعة من العلوم ولمعارف من جهة أخرى(عماد، 2006، ص 140)

ويقدم مثالا عن ذلك عبد الغاني عماد (2006) ليوضح الفرق بين القيم والاتجاه، على المستوى الوصفي الفرق بين الاتجاهات والقيم" هو كالفرق بين العام والخاص، حيث تقف القيم كمحددات لاتجاهات الفرد، فهي عبارة عن تجريدات وتعميمات عامة تتضح من خلال تعبير الأفراد عن اتجاهاتهم حيال موضوعات محددة" وإن للقيم أهمية كبيرة في حياة الأفراد وعلاقة وطيدة بتقدم المجتمعات وتحضرها أو بتخلفها وانحطاطها فإذا كانت المجتمعات تقوم بإسدال المسؤوليات والوظائف لأصحاب الكفاءة والجدارة والعلم والتخصص أدى بها إلى التطور والتقدم والنمو، وإذا كان عكس ذلك أي أن المسؤوليات والوظائف في جميع القطاعات التربوية والصحية والفلاحية والصناعية والاجتماعية والسياسية والثقافية تمنح لغير أهلها ومعيار ذلك العزو والنسب والمحسوبية والنزاهة والعلم، أدى بها لا محالة الى التخلف والفقر والتبعية وانتشار المشاكل الاجتماعية والسياسية كالهجرة والإجرام وعدم الاستقرار السياسي... الخ

وبهذا الصدد يميز بارسونز بين أهم القيم التي تكون سببا في تخلف المجتمعات والقيم التي لها دور كبير في تقدمه وذلك بالمقارنة بين المجتمعات المتخلفة والمتقدمة:

خصائص المجتمع المتخلف	خصائص المجتمع المتقدم
– الخصوصية	– العمومية
– العزو	– الاداء
– الانتشار	– التخصيص
– المصلحة الذاتية	– المصلحة الجماعية
– الوجدانية	– الحياد الوجداني

(قيرة، 2017، ص 11)

2– المعايير:

تعتبر القيم عن الأهداف العامة، وتقيم أسسا موجهة للسلوك، أما المعايير فاكثر تخصصا فهي ترتبط بسلوك محدد، وتمثل القواعد والمقاييس الثقافية التي يجب على الإنسان أن يأخذها بعين الاعتبار عندما يسلك أو يفكر أو يعبر عن شعور في موقف معين، بهذا تعتبر المعايير منظمة للسلوك الاجتماعي، مما يجعلنا قادرين على اختيار السلوك المقبول اجتماعيا، وتوقع سلوك الآخرين(عثمان، 2006، ص 169)

ومن المعايير السائدة في المجتمعات الإسلامية مثلا: احترام الصغير للكبير وتوقير الكبير للصغير وإلقاء السلام، انتشار ظاهرة الحجاب، بر الوالدين،... الخ

إلا أنه في كثير من الأحيان تتحول المعايير في بعض النشاطات المهمة حسبما يراها المجتمع إلى أعراف، و أشهر تعريف عند علماء الاجتماع عن العرف " هو ما ذهب إليه سمنر عندما أشار إلى أن الأعراف هي تلك السنن الاجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للاستعمالات والعادات والتقاليد والمعتقدات

والأفكار والقوانين وما شابه، وبخاصة عندما تحوى حكما، إنها تحوى جانبا كبيرا لما يطلق عليه الصواب أو الخطأ وذلك من خلال طرق السلوك المتنوعة"(عماد، 2006، ص 145)

وهناك من يعرف العرف بأنه "ما درج الناس على اتباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها"(مدبولي، 1979، ص 79- 80).

وقد تصير الأعراف في بعض المجتمعات قواعد اجتماعية اكثر حدة، ترتبط بدرجات اعلى من الجزاء والعقاب، فالخروج عن الأعراف يمثل خرقا خطيرا، وبهذا ينشأ في المجتمع نظام للجزاء والعقاب يندرج من الاستياء والاستهجان إلى الحدود ويمثل نظام الجزاء والعقاب وسائل وأسس الضبط بقصد التعزيز او الردع، فالسلوك الإنساني يتأثر بتوقع الإنسان للجزاء والعقاب" (عثمان، 2006، ص 170).

رابعا/ النظم الاجتماعية:

يمكن اعتبار النظم الاجتماعية مركبات ثقافية يتضمن معناها مجموعة القيم والمعايير والمعتقدات والمكانات التي تشير إلى كيفية استجابة المجتمع مع القضايا والمسائل المركزية فكل مجتمع لا بد أن يستجيب ثقافيا لقضايا وحاجات، كالحاجة لتعويض الأعضاء سواء بسبب الموت أو الهجرة (عثمان، 2006، ص 171).

والنظم الاجتماعية تعتبر ضرورة اجتماعية لأن الإنسان بطبعه يميل إلى فعل الخير والشر والمذموم والمحمود والمكروه والمستحب، ولمن لا يتعدى الأفراد على حقوق بعضهم البعض وأيضا حتى تتمكن الجماعة من تحقيق أهدافها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية كان لازما عليها أن تسطر قواعد وقوانين ونظام معين يتم احترامه من قبل الجميع وفرض الجزاء والعقاب على كل من يخالفه ولذلك ظهرت النظم في كل جوانب الحياة للأفراد والمجتمعات، فهناك نظام الأسرة والنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام التربوي... الخ .

وقد عرف "هـ. م بارنز Barnes النظم الاجتماعية على أنها تمثل البناء الاجتماعي والألة التي تنظم المجتمع الإنساني، وتوجه وتنفذ وجوه النشاط المتعددة التي يتطلبها تحقيق الحاجات الإنسانية واستنادا إلى ذلك تعتبر الأسرة والدولة والزواج نظما اجتماعيا(حامد، 2008، ص30).

ومضمون النظام الاجتماعي يختلف في كثير من الأحيان بين علماء الاجتماع، مثلا عند ماركس في المجتمع البرجوازي يتألف من الطبقات الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية الرأسمالية وتناقض المصالح والصراع الطبقي. والنظام الاجتماعي عند دوركهايم هي الضمير الجمعي والقيم والمعايير والتضامن الاجتماعي (البصير، 2010، ص445) .

وعن التوازن بين هذه النظم، فإن هؤلاء في العلماء في اختلاف كبير، فماركس مثلا لا يرى أن هناك توازن نسبي مثل دوركايم، وهناك رأي أخر يعتقد بأن هناك توازن حقيقي بين هذه النظم مثل بارسونز، "وفرق ماكيفر بين النظام من جهة والعرف من جهة أخرى، فذكر أن الأعراف الاجتماعية هي طرائق ثابتة لاتصال الناس وهي ليست نظما، بل هي المادة الخام للنظم.(حامد، 2008، ص31) .

خامسا/ المكانة:

تشير إلى الوضع في الجماعة والمجتمع، وتعتبر جزءا من الثقافة لأن ترتيب المكانات في أوضاع عمود مسألة تعتمد إلى حد كبير على تقييم الجماعة للأشخاص والأدوار، وتعني مجموعة الحقوق والواجبات المرتبطة بهذا الوضع، ولكل مكانة في وضع اجتماعي معايير ترتبط بما يتوقع من شاغل المكانة (عثمان، 2006، ص171) .

فكل فرد في المجتمع يحتل مكانة اجتماعية معينة، وفق ما يمنحه المجتمع من حقوق وواجبات، فالابن والأب والجد كل واحد منهم لديه حقوق وواجبات وفق النظام العائلي الذي يمليه عليه المجتمع، كما أن المكانة الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى أخر فرجل الدين له مكانة عالية في المجتمعات التيوقراطية أو الدينية أو التي يمثل الدين في حياة أفرادها تأثير كبير، أما المجتمعات العلمانية أو الإلحادية نجد دور

ومكانة رجال الدين فيها مهمشة والمكانة التي تمثل الحقوق والواجبات، تصير دورا في حالتها الدينامية، أي عندما تمارس على أرض الواقع، ويبرز هذه العلاقة من خلال هذا التعريف الذي يؤكد على أن "المكانة هي مجموعة الحقوق والواجبات أن الدور هو المظهر الدينامي للمكانة، فالسير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيم بالدور" (غيث، 1997، ص390) .

إلا أن جيوفاني بوسينو (د. ت) يميز بين معنيين لمفهوم "الدور" حيث يطلق على الأول بسلوك الدور والثاني يطلق عليه اسم فعل الدور.

أما سلوك الدور فهو يعبر عن السلوك غير الحقيقي، الوهمي أي باختصار صوريا فقط، فمثلا القاضي الذي من المفروض أن يمثل العدالة نجده في الواقع غير ذلك، فهو إذا يكتسب وضعا معينا يحدد من خلاله الواجبات والحقوق إلا أنه يجسد سلوك لا يوافق وضعه المهني .

وأما الثاني أي مفهوم فعل الدور فهو يرتكز على ما يفعله عندما يشتغل وضعا ما، وعندما يتصرف وهو يمتثل لمعايير وقواعد صريحة أو ضمنية، وبذلك فإن فعل الدور يجسد التوقعات المرتقبة منه .

سادسا/ الطقوس والشعائر الدينية:

إن كلمة طقس Rite تشتق من الكلمة اللاتينيةRitus، وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين كما تعني كل أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الاطار التجريبي" تكمن دعوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير، فالطقس يميل أساسا، من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته، إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده فهو استنادا الى ذلك، إعادة خلق وتحيين لماضي غامض غالبا لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني"(طوالبي، 1988، ص 34)

سابعا/ العادات والتقاليد:

هي عادات وتقاليد عامة يشترك فيها أعضاء الجماعة أو المجتمع والعادات هنا هي ما تعود عليه الناس وعلى ممارسته وتكرار ممارسته في حياتهم الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، السياسية... الخ، وتتوارث

الأجيال العادات بتوارثها الخلف عن السلف وبفعل التكرار يصير بعضها جزء من تقاليد الجماعة (لبصير، 2010، ص 28)

ثامنا/ الأعراف:

استخدم مصطلح Mores وcustomsأحيانا كثيرة للدلالة على الأعراف وفي القانون العرف هو ما درج الناس على تباعه من قواعد معينة في شؤون حياتهم وشعورهم بضرورة احترامها(مدبولي، 1979، ص 79)

تاسعا/ التراث الشعبي:

يتجلى التراث الشعبي tradition folk في عناصر كثيرة منها، الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير، ولفظ "تراث" يعني بشكل عام العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل، إلا أن بعض الباحثين يرى أن هذه الكلمة يتوقف مدلولها على السياق الذي تستخدم فيه أو على القرائن المكتسبة للمعنى(عماد، 2006، ص 158)

- عناصر التراث الشعبي:

تتخلص موضوعات التراث الشعبي في أربعة عناصر كما يحددها محمد الجوهري (1981) وهي كما يلي:

أ/ المعتقدات والمعارف الشعبية:

ويقصد بالمعتقدات الشعبية تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي وما وراء الطبيعة

ب/ العادات والتقاليد الشعبية

ج/ الثقافة المادية والفنون الشعبية:

* الفنون الشعبية: مثل الحرف اليدوية والصناعات التقليدية ونمط الملبس والمأكل والمسكن وأدوات الصيد وطريقة فن الأموات

*** الأدب الشعبي:**

وينقسم الأدب الشعبي إلى عناصر وهي:

- الحكايات الشعبية
- النكتة
- المثل
- الأسطورة
- الأغاني الشعبية
- أهازيج الطقوس الدينية
- الأهازيج
- الألغاز

عاشرا/ اللغة:

فالثقافة وتشكلها وقيامها يرتبط بالضرورة بوجود نظام رمزي، يتيح للأعضاء الاتصال والتفاعل وتناقل المعاني، ويعتبر هذا النظام الرمزي وسيلة المجتمع التي تحدد معرفته بالبيئة وبجوانبها وبالذات الإنسانية... يمكن أن يكون الرمز إيماءة أو حركة أو صوتا أو صورة أو كائنا أو شيئا أهم أوجه الكلمة والرقم"(عثمان، 2006، ص165) .

فكلما صارت الثقافة أكثر تعقيد صارت الحاجة إلى اللغة أكبر، لأن اللغة هي وسيلة للاتصال الأجدى نفعا من أجل التعبير عن الأفكار والرؤى والتصورات الرمزية ولذلك نقول عن التعبير الرمزي عن طريقه تمكن الإنسان من إبداع المعرفة وتكوين ما نسميه بالسلوك الثقافي .

وبالقدر نفسه فإن استخدام اللغة لا يعني قدرة الإنسان على الاستجابة إلى الرموز فقط، بل يعني كذلك قدرته على ابتكارها. وبالتالي يمكن القول بأن الرمز هو الوحدة الأساسية للثقافة شأنه في ذلك شأن الخلية في جسم

الكائن الحي. والعالم الثقافي الذي يدركه الإنسان هو عالم رمزي يعبر عنه بالرموز، ومن خلالها أصبح قادرا على ابتكار المعاني وإكساب الطبيعة وأشيائها خصائص جديدة أمكن نقلها من جيل إلى جيل على أساس من التميز والاختيار والتنبؤ"(عماد، 2006، ص62) .

واللغة هي الوسيلة الأولى لربط الصلة بين إنسان وإنسان أخر، يعاصره، أو يسبقه في الزمن أو يلحق به، فإذا كنا نريد للعربي اليوم أن يكون موصول الوجدان بالعربي الذي مضي، فإن أهم ما يحقق تلك الصلة هو اللغة المشتركة بينهما" (ابن نعمان، 1991، ص12$4) .

المحاضرة الثالثة ثنائية الفرد و الثقافة

- الفرد
- الهوية
- المجتمع
- التنشئة الاجتماعية
- الشخصية
- علاقة الفرد بالثقافة
- علاقة المجتمع بالثقافة
- علاقة الشخصية بالثقافة
- ثلاثية الشخصية و المجتمع و الثقافة

تمهيد:

من خلال هذه المحاضرة نحاول ان نتطرق إلى ثنائية الفرد و الثقافة، في خضم ذلك نحاول إن نعالج أهم المفاهيم التي لها علاقة بالفرد و ذلك بعد تحديد مفهوم هذا الأخير لغويا واصطلاحا، ثم يتم التطرق الى تعريف مفهوم الفر دانية و يليه معالجة مفهوم الهوية مع ذكر أهم عناصرها، و بما انه لا يمكن ان تكون صلة بين الثقافة و الفرد إلا في خضم مجتمع يتم فيه عملية التأثير و التأثر بينهما، ارتأينا إلى التطرق إلى المجتمع، و ذلك بتحديد مفهومه و مقوماته، و بما ان مفهوم الفرد وثيق الصلة بمفهوم الشخصية أيضا فقد تناولنا هذا الأخير بشكل من التفصيل وذلك بتحديد مفهومه بمختلف الاتجاهات النظرية مع ذكر مقومات الشخصية، وأخيرا خلصنا إلى أهم محور نوضح فيه علاقة الفرد بالثقافة حسب المقاربة السوسيولوجية و الانتروبولوجية ثم علاقة المجتمع بالثقافة ثم علاقة الشخصية بالثقافة و كيفية تأثير الثقافة في الشخصية و كيف تؤثر الشخصية في الثقافة و أخيرا توضيح العلاقة ما بين ثلاثية الشخصية و المجتمع والثقافة.

أولا/ مفهوم الفرد:

1- لغويا:

تعني مفردة الفرد Individuel المشتقة من الجذر اللاتيني Individuum "الشيء الذي لا ينقسم فهو جزء أحادي، بمعنى أنه يمكن أن يحقق وجوده من ذاته دون الحاجة إلى مساعدة الآخرين أو إلى الارتباط بهم. ولقد ظهرت مفردة الفرد في اللغة العربية الكلاسيكية بمعنى (الوتر، والجمع أفراد وفرادى، والفرد نصف الزوج ولا نظير له، وتأتي كلمة تفرد بمعنى انعزل وتميز عن غيره)" (مريم، 2018، ص9).

2- اصطلاحا:

تصف موسوعة لالاند الفرد على أنه " الكائن الذي يعيش بذاته ويتسم بمثل هذا التمركز وهذا التناسق الوظيفي بحيث لا يمكن تقسيمه دون تحطيمه." (مريم، 2018، ص9)

3- الفردية، الفردانية: individualisme/ individulism

الفردية هي جملة أفكار مقتبسة من مذاهب فلسفية وفكرية وممارسات سياسية. وقد استقت الفردية بعض أفكارها من عصر النهضة والإصلاح الديني الذي كان بدايته على يد كل من كالفن ومارتن لوثر، وكذلك عصر التنوير والليبرالية، وفلسفة جون لوك .

للفردانية معنيان متقاربان أحدهما هو الرأي القائل بأن الفرد هو الحقيقة الأولى والقيمة العليا المطلقة ويقدس مصالحه وحقوقه وأن مبادرته لا يجب أن تخضع لأي سلطة، والمعنى الآخر هو الذي يصنع الفرد كمقابل للمجتمع ومضاد له لأن المجتمع يسيطر على الفرد ويضيع قيودا على مبادراته وسلوكه ويضح به من أجل الجماعية(البصير، 2010، ص327).

ولهذا فالفردية تعني عدم وضع قيود على الفرد وعدم التضحية بالفرد من أجل الجماعة فهناك تناقض بين الفرد والجماعة حسب هذا المفهوم، ولذلك نجد ما اصطلح عليه بالنظام الحر في الاقتصاد والسياسة .

ويعتبر مصطلح الفردية مصطلحا حديثا كما يق ذلك ميتشل بأنه قد استعمل لأول مرة عام 1840 .

أما دوركايم فإنه يعتقد أن الفردية لم تعرفه المجتمعات البدائية، التي كانت تتميز بالتضامن الآلي، حيث هناك تشابه كبير في النشاطات و السلوكات والمعتقدات والقيم والمعايير، وكان يسود أفراد هذه المجتمعات العمل لمصلحة المجموع، أما الفرد الذي كان يعمل لمصلحته فكان يعاقب عقابا اجتماعيا ودينيا، كون أن الضمير الجمعي أو العقل الجمعي يكون صارما في مثل هذه المجتمعات .

ومقابل ذلك فقد أوضح ماكس فيبر أهمية الإصلاحات الدينية على يد كل من كالفن ومارتن لوثر في ظهور الديانة البروتستانتية وكيف أنها كانت سببا في انتشار البروتستانتية التي كانت تدعوا إلى عدم وجوب وجود واسطة بين الله وعبده فضلا عن نشر كثير من القيم من أهمها التقشف الذي أدى بدوره إلى قيام النظام الرأسمالي الذي يقدس الفرد ويرفض أي قيود أو حواجز تحول دون تحقيق أماله وطموحاته خاصة الاقتصادية منها .

بيد أن حركة الإصلاح الديني سببت رواجا كبيرا في قيمة وأهمية الأفكار الدينية، وظهور الاقتصاد السياسي الكلاسيكي خلال القرن الثامن عشر زاد قيمة وشأن هذه الأفكار وذلك للاعتبارات التالية كما يشير (لبصير، 2010، ص328):

1) اعتقاده بأن المجتمع ليس حقيقة تعلو على الأفراد وتقيد حرياتهم وتقع خارج نطاقهم
2) توضيحه النتائج المفيدة المتمخضة عن نظام المنافسة الاقتصادية الذي يزاوله الأفراد بحرية اقتصادية كاملة .
3) عرضه المتطور لنظام تقسيم العمل وما يترتب عليه من وجود أدوار اجتماعية مختلفة تعتبر الأساس في اختلاف الأفراد وأحدهم عن الآخر .

وقد لعبت فلسفة جون لوك دورا رئيسيا في إضفاء الصبغة السياسية الشرعية على الفردية والاعتراف بها قانونيا كأفضل نظام سياسي في النظام الديمقراطي الغربي. والفردية هي ليبرالية في مبادئها وضد تدخل الدولة في الاقتصاد، ولكن هذا لم يمنع الأحزاب اليمينية المحافظة من تبني بعض أفكار الليبرالية، فقد قالت السيدة تاتشر زعيمة المحافظين والوزيرة الأولى البريطانية في دفاعها عن النظام الحر الرأسمالي: لا يوجد شيء اسمه المجتمع هناك أفراد فقط. ومن سخريات القدر السياسية حزب المحافظين البريطانيين مع بعض مبادئ الليبرالية. المعادية للاتجاه المحافظ .

ثانيا/ الهوية:

1- مفهوم الهوية:

حسب أحمد بن نعمان تتمثل الهوية في نوعين وهما:

- هوية فردية وتعتمد أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر .

– هوية وطنية أو قومية وهي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى(يحياوي، 2016، ص178).

وبهذا الصدد وفي نفس المعنى يقسم عبد الحسين شعبان الهوية إلى ثلاث مستويات لتشكيلها وهي:

– المستوى الأول، الفرد، فلكل فرد هويته وخصوصيته .

– المستوى الثاني، الجماعي أو المجتمعي أو الجمعي " الجمعوي" كما تسمى مغاربيا، وهي تمثل المشترك للجماعة الإنسانية .

– المستوى الثالث، هو المستوى الوطني والقومي (شعبان، 2017، ص17)

أما عن مصدر الهوية " فالثقافة هي الوعاء الذي يستوعب ويجسد الهوية، وهي التي تعبر عن الشعور بالانتماء فالثقافة هي توالف بين القيم المتراكبة والمتفاعلة مع الآخر أيضا، ولاسيما إنسانيا، ومع التقاليد والعادات، التي تعكس سلوك حياة الناس" (شعبان، 2017، ص15).

2– عناصر الهوية:

يمكن أن تحدد عناصر الهوية من خلال تحديد الخصائص أو المميزات للأفراد والجماعات والمجتمعات ويمكن أن نحصر هذه العناصر فيما يلي:

– **العناصر المادية والفيزيقية:**

وتشمل السمات المورفولوجية والانتماءات الفيزيائية والمستوى الاقتصادي والعقلي والتنظيمات المادية .

– **العناصر التاريخية:**

وتشمل الاسم، الولادة، الأصل أو الأسلاف، القرابة، العقائد، القيم، المعايير، العادات والتقاليد، الأحداث التاريخية، والآثار التاريخية .

- العناصر الثقافية والنفسية:

وتتضمن النظام الثقافي مثل " العقائد، الأديان، الرموز الثقافية، الإيديولوجيا، نظام القيم الثقافية، أشكال التعبير الأدبي والفني، ثم العناصر العقلية مثل النظرة إلى العالم، التصورات، ونقاط التقاطع الثقافية، اتجاهات نظام القيم، وبصفة عامة مقدمات الهوية" (يحياوي، 2016، ص183).

نلاحظ أن هناك تداخل في بعض هذه التصنيفات في تحديد عناصر مشتركة بين ما هو نفسي ثقافي وما هو تاريخي .

العناصر النفسية الاجتماعية:

وتتضمن الأسس الاجتماعية مثل السن، الجنس، الاسم، المهنة، السلطة، الدور، المكانة الاجتماعية، الأنشطة، الانتماءات اللواءات، ثم القدرات الخاصة بالمستقبل مثل القدرة والإمكانات، الإثارة الإستراتيجية، التكيف والاندماج، ونمط السلوك (يحياوي، 2016، ص184)

الهوية الثقافية:

يعرفها العيد وارم بما يلي:

هي القدر الثابت، والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى. فالهوية عبارة عن المركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل(يحياوي، 2016، ص78).

ثالثا/ المجتمع:

1- مفهوم المجتمع:

المجتمع بالمعنى السوسيولوجي هو " شبكة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي تربط جماعة بشرية، وينجم عنها قيم، ومعايير ونظم، وأعراف، وقوانين تنظم وتضبط حياة هذه الجماعة خلال حقبة زمنية

في بيئة جغرافية، ويختلف المجتمع عن التجمعات البشرية كالحشد، والمنظمة، والرابطة وما شابه ذلك."

(البصير، 2010، ص408)

أما مالك بن نبي فيعرف المجتمع بأنه " هو الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير"(زعيمي، 2004، ص166) .

كما أن محسن علي عطية يعرف المجتمع بكونه " مجموعة من الأفراد ذات سمات خاصة تميزها من غيرها من المجموعات الأخرى تعيش على مساحة من الأرض لا تقل عن متوسط العمر الزمني لأفرادها ويرتبط أفرادها بمجموعة من الروابط التي تشعرهم بالانتماء إلى جماعتهم وتشكل مكونات ثقافتهم" (مريم، 2018، ص13).

وبناء على التعاريف السابقة، فإن المجتمع يغطي معنيين ينبغي الحرص على أن يضلا منفصلين من أجل أن تكون المعالجة العلمية ممكنة " إن المجتمع أولا مجموعة معقدة من الأفراد الموحدين في جماعة، أي المادة البشرية التي اكتسبت شكلا اجتماعيا، كما شكلها الواقع التاريخي، أنه ثانيا مجموع هذه الأشكال العلائقية التي بفضلها يتحول الأفراد إلى مجتمع بمعنى الكلمة." (مريم، 2018، ص13)

2- مقومات المجتمع:

- الأفراد:

إن وجود الأفراد يعد عنصرا أساسيا، وشرطا ضروريا لقيام مجتمع. فلا يمكن أن نتصور وجود مجتمع بدون أفراد كما لا يمكن أن نتصور وجود أفراد بدون مجتمع، فالأفراد الرجال والنساء والأطفال، هم الذين يكونون المجتمع وهم الذين يؤلفون الأسر والجماعات والقبائل والعشائر والأقوام، وبتعددهم تكثر الأمم والشعوب، وبتكاثرهم يستمر المجتمع في الوجود(زعيمي، 2004، ص197) .

وإذا كان الأفراد هم الذين يشكلون اللبنة الأساسية لوجود المجتمع، فإنه من أجل تحقيق ذلك يتعين وجود إقليم يجمعهم وشبكة من العلاقات الاجتماعية، حيث يرتبط الأفراد في المجتمع بعلاقات وروابط متعددة، تنشأ عن طبيعة اجتماعيتهم ومن تفاعلاتهم.

إذ تضعنا الحياة في شبكة مركبة من العلاقات مع الآخرين، وينمو طابعنا الإنساني عن هذه العلاقات أثناء التفاعل الاجتماعي، ويترتب عن استمرار الصلة بين شخصين أو أكثر ليصبحا مرتبطين ببعضهما من خلال مجموعة ثابتة نسبيا من التوقعات يمكن أن نطلق على هذه الصلة مصطلح العلاقة" (حامد، 2008، ص33) .

وذلك لأن الأفراد لا يستطيعون أن يعيشوا بمعزل عن الآخرين، فالفرد لا يستطيع العيش دون جماعة حتى يتشبع حاجاته المادية والمعنوية، في شكل تفاعل اجتماعي وعلاقات اجتماعية منظمة، وهنا تبرز أهمية النظم الاجتماعية، التي تنظم هذه العلاقات فمنها نظم اقتصادية ونظم عائلية وأخرى سياسية أو تربوية ...إلخ، في هذا الصدد يقول حامد (2008) "يتكون كل نسق من عدد من الأقسام الفرعية هي النظم الاجتماعية، فالنسق الاقتصادي يظم النظم الاجتماعية التي تشترك كلها في معالجة فئات معينة من الظواهر تدور حول النشاط الاقتصادي في المجتمع مثل نظام البيع والشراء... أما العلاقات الخاصة بالزواج والأسرة والطلاق والميراث وتعدد الزوجات فتسمى بالعلاقات بنسق القرابة حيث نقول نظام الأسرة ونظام الطلاق " .

وبهذا الشكل يتكون المجتمع من إقليم معين والأفراد الذين يعتبرون ركيزة أساسية في ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية التي ستحدد ثقافة المجتمع فيما بعد.

- **الإقليم:**

أو البيئة الطبيعية للإنسان، وهي بصفة عامة الأرض بتضاريسها ومناخها، وبصفة خاصة الحيز الجغرافي من الأرض الذي يقطنه الإنسان ويلبي من خلاله حاجاته ويعمي على عمارته... ذلك أن مقومات الإنسان وأسباب حياته وبقائه مرتبطة بالأرض" (زعيمي، 2004، ص198).

فلكل مجتمع إقليم خاص به " يشمل مساحة من الأرض وقد تتحدد بالحدود الإدارية أو السياسية ويمكن تحديدها على حسب حاجات المجتمع الذي يسعى لإشباعها، أو مشكلاته التي يسعى لحلها، ويحيط بالإقليم ظروف بيئية وجغرافية معينة تؤثر بطريقة مباشرة في الحياة الاجتماعية والثقافية." (مريم، 2018، ص14)

- **شبكة العلاقات الاجتماعية:**

إن وجود الأفراد على إقليم واحد مهما طال بهم الزمن، إن لم تنشأ عنه علاقات مهما كان نوعها " لا يمكن أن يؤدي إلى قيام مجتمع لذلك فإن المجتمع يعتمد في وجوده أيضا على عنصر أساسي وضروري وهو شبكة العلاقات الاجتماعية، التي تربط أفراد المجتمع وأجزائه بعضها ببعض، ويمكن النظر إلى المجتمع من هذه الزاوية على أنه بناء قائم على نسيج من العلاقات الاجتماعية" (زعيمي، 2004، ص199).

ويتمخض عن شبكة العلاقات الاجتماعية مجموعة من المعايير والقيم والقوانين والأعراف " والنظم الخاصة بالتبادل والمشاركة التي تسود فيه ذلك كالعادات والتقاليد والعرف والقانون يلتزم بها الناس في تعاملهم مع بعضهم البعض، فلكل علاقة اجتماعية اعتباران هامان: ما هو قائم، وما ينبغي أن يكون. وتستقر اتجاهات شعور الفرد لما هو صواب وما هو خطأ من خلال ما يلقنه الأباء للأبناء." (مريم، 2018، ص15) ويمكن أن نحصر مجمل ما يتوارثه الأبناء عن الأباء من قواعد ونظم وهي:

- القواعد الأخلاقية .
- القواعد التشريعية .
- العرف .

– الأذواق .

ويمكن أن نميز نوعين من العلاقات الاجتماعية العلاقات الاجتماعية الأولية تتمثل في العلاقات الأسرية أو علاقات جماعة اللعب والصداقة إلى جانب علاقات الجيرة، من أهم الخصائص التي تميز نوع هذه العلاقات كونها شخصية، مباشرة، تتم وجها لوجه .

وقد وسمها شارلز كولي Cooley " بالعلاقات الأولية، ويحمل معنى هذا المفهوم لمعنى الأولية جانبين، فهي أولية أولا، من حيث الزمن، إذ تمثل بدايات العلاقات الاجتماعية للإنسان. وهي أولية ثانيا، لأهميتها في حياة الإنسان وبنائه الشخصي" (عثمان، 2006، ص117)

أما النوع الثاني من العلاقات الاجتماعية " فيشارك الإنسان، علاوة على ما تقدم من علاقات أولية، في نوع آخر من العلاقات المدرسية مع المعلمين والإدارة، وعلاقات العمل الرسمية، وقد سميت هذه بالعلاقات الثانوية، وتتصف بأنها غير شخصية، غير مباشرة وغالبا ما تحكمها اللوائح والأنظمة الرسمية والقانون." (عثمان، 2006، ص117). والنظم الاجتماعية ضرورة إنسانية في المجتمع لا مناص منها، ولولاها لعاش المجتمع في فوضى ومشكلات لا حل لها سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات .

وتبرز أهمية النظم كما يشير مراد زعيمي " لما كانت فطرة الإنسان تحوي استعداده لفعل الشر كما تحوي استعداده لفعل الخير، فإن الشرور والرذائل ظواهر ممكنة الحدوث، ومن هنا كانت الحاجة إلى ما يحفظ للمجتمع استقراره واستمراره، وللأفراد حقوقهم وأرواحهم، وهو أمر لازم لا مناص منه، يطلبه الناس بإرادتهم وعقولهم، أو يستجيبون إلى داع يدعوهم إليه"(زعيمي، 2004، ص203).

إلا أن مضمون النظام الاجتماعي يختلف أحيانا من عالم اجتماع إلى آخر " فالنظام الاجتماعي مثلا عند ماركس في المجتمع البرجوازي يتألف من الطبقات الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية الرأسمالية وتناقض المصالح والصراع الطبقي. والنظام الاجتماعي عند دوركهايم هو الضمير الجمعي والقيم والمعايير والتضامن الاجتماعي." (البصير، 2010، ص445)

العقيدة:

يشير محمود شلتوت إلى أهمية العقيدة في المجتمع كونها أحد مقومات كونها " تحتل العقيدة مكانة كبرى لدى كل إنسان حتى الملحد. ولدى كل المجتمعات حتى تلك التي لا تعترف بالأديان. وتعد العقيدة الوجهة الأساسية لسلوك الفرد، حيث تتحول إلى مواجهات قيمة تترجم إلى واقع سلوكي، فالمعتقدات هي التي تحكم وتصيغ وتحدد القيم، وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبطه وتحكمه وتوجهه." (شلتوت، 1974، ص25)

- المؤسسات الاجتماعية:

تعد المؤسسات الاجتماعية من أهم دعائم المجتمع كون أن الأفراد لا يستطيعون تلبية حاجياتهم وتوفير متطلباتهم وحل مشاكلهم بمفردهم، ولذلك فهم يلجئون إلى التعاون والتكافل والتضامن مع الآخرين وعندها تنشأ المؤسسة الاجتماعية. وهي تنشأ مع نشأة المجتمع وتنمو بنموه .

وفي المؤسسة الاجتماعية تتشكل العلاقات الخاصة بين الأعضاء، فتتحدد الأدوار والمكانات الاجتماعية، كما تتحدد الحقوق والواجبات، وطرق تلبية الحاجات. من أمثلة المؤسسات الاجتماعية التي عرفها المجتمع الإنساني الأسرة، المعبد، الدولة، النوادي، الاتحادات، النقابات، المصانع، الجامعات والمدارس(زعيمي، 2004، ص214)

رابعا/ التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية بمثابة الحبل السري للجنين، فمن خلالها ينقل المجتمع ثقافته وأفكاره ومبادئه ومعتقداته وعاداته وتقاليده وقيمه ومعاييره إلى الأفراد، ونظرا لأهميتها في نقل الثقافة إلى الأفراد، ومدى علاقتها الوطيدة بين مفهومي الفرد والثقافة نحاول أن نقدم مجموعة من التعاريف التي سعت إلى تحديد هذا المفهوم وهي كالآتي:

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

- يعرف عبد المجيد لبصير التنشئة الاجتماعية بكونها " عملية التطبيع الاجتماعي التي تمكن الكائن البشري من اكتساب ثقافة بيئته الاجتماعية كاللغة، والمهارات، والقيم، والمعايير، والعادات...إلخ. والتنشئة هي أيضا عملية تنمية قدرات الفرد الفطرية، وترويض، وصقل، وتهذيب غرائزه، وتحديد طرق إشباع حاجاته الحيوية، بحيث يشبعها بطريقة تتفق مع ثقافة المجتمع." (لبصير، 2004، ص162)

- تعريف إبراهيم عثمان حيث يعتبر التنشئة الاجتماعية " هي العملية التي تشمل جميع الجهود والنشاطات والوسائل الجماعية والفردية التي تعمل على تحويل الكائن العضوي عند الولادة إلى كائن اجتماعي. فهيعملية تعلم وتعليم يشارك فيها كل من الفرد والجماعة، الفرد بما هو عليه من تكوين بيولوجي ثم نفسي، والجماعة بما توفره من ظروف اجتماعية مادية." (عثمان، 2006، ص182). ويضيف إبراهيم عثمان (2006) حول ما تسعى إلى تحقيقه التنشئة الاجتماعية في النقاط التالية:

- القدرة على التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافة للجماعة .
- القدرة على التفاعل وبناء علاقات مع الآخرين .
- أنماط السلوك والقيم والرموز الخاصة بجماعة أو مجتمع أو حضارة، بما ينطوي هذا على اكتساب أنماط الفعل والفكر والشعور، إضافة إلى اكتساب هوية .
- المعرفة والمهارات اللازمة لشغل دور أو أكثر، علما أن هذه المعرفة والمهارات متغيرة، وتختلف باختلاف الأدوار .
- أسس ووسائل تطوير المعارف والمهارات والجوانب الثقافية الأخرى .

2- أهداف التنشئة الاجتماعية:

إن التنشئة الاجتماعية باعتبارها نشاط إنساني واعي فهو بطبيعة الحال يسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف من أهمها كما يشير (زعيمي، 2006، ص ص 14-80):

1- تحقيق ركائز الفطرة أو تنميتها وتشمل على النقاط التالية:

- الإيمان والاعتقاد
- حب الاستطلاع
- الحرية
- الاستعدادات

2- تنمية القدرة على الاعتماد على الذات في تلبية الحاجات بالطرق المقبولة اجتماعيا

3- تهيئة الفرد للتكيف مع المجتمع

4- تهيئة الفرد ليكون صالحا لنقل الموروث الثقافي

5- بناء الشخصية المتكاملة وهذا بتطلب

أ. اعتناق عصيدة أو مذهب واحد.

ب. الإشباع المتناسق والمناسب لحاجات الإنسان المختلفة.

ج. الانتماء إلى جماعات متلائمة.

د. إتباع أهداف متناسقة.

3- وظائف التنشئة الاجتماعية:

يقسم زعيمي مراد وظائف التنشئة الاجتماعية إلى محورين رئيسيين من حيث الأهداف ومن حيث الماهية وهي كالتالي (زعيمي، 2006، ص22):

- وظائف التنشئة الاجتماعية من حيث أهدافها:

أ. هي عملية تشكيل السلوك الفردي (التطبيع).

ب. هي عملية إدخال ثقافي المجتمع في بنلاء الشخصية.

ج. هي عملية استكمال الجانب الاجتماعي للجانب الحيوي للفرد.

د. هي عملية تعليم.

هـ. هي عملية تربية.

و. هي عملية تثقيف.

ز. هي عملية تدريب على التوقع.

ح. هي عملية تنمية.

ط. هي عملية تشكيل مذهبي.

ي. هي عملية وقائية.

- وظائف التنشئة الاجتماعية من حيث ماهيتها:

أ. هي عملية حركية.

ب. هي عملية معقدة.

ج. هي عملية مستمرة.

د. هي عملية شاملة.

4- مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

وهي عبارة عن تلك الوحدات الاجتماعية التي يشكلها المجتمع من أجل نقل الإرث الثقافي والتعليمي والمهارات التي تساعد الأفراد على تلبية حاجياتهم المادية والمعنوية وتبني تصورات حول ذواتهم وطبيعة العلاقة مع الآخر ومع العالم ككل .

ومن أهم هذه المؤسسات هي:

أ. الأسرة

ب. المدرسة

ج. المسجد (أو دور العبادة)

د. الحضانة

هـ. روضة الأطفال

و. التلفيزيون

ز. الكشافة

ح. مراكز رعاية المعاقين

ط. مراكز رعاية اليتامى والمشردين

ي. مراكز رعاية الشيوخ والعجزة

ك. مراكز رعاية المسراجين

خامسا/ الشخصية

1- مفهوم الشخصية:

ا- التعريف السيكولوجي للشخصية:

من السهل أن نسرد مجموعة من التعاريف التي تحاول أن تحدد مفهوم الشخصية من الجانب السيكولوجي. إلا أن الأمر أكثر تعقيد من ذلك لأن تعريف الشخصية يختلف حسب المداخل النظرية والمنطلقات الفكرية لرواد علم النفس، كل حسب نظرته لهذه الأخيرة .

وخلاصة القول ورغم اختلاف هذه المداخل، فمن أهم الاتجاهات التي حاولت أن تحدد مفهوم الشخصية نستطيع أن نميز اتجاهين أساسيين يمكن أن نحصرهما فيما يلي:

- الاتجاه الأول:

وهو الذي يأخذ بالتعريف المظهري للشخصية والذي يتلخص في أن الشخصية هي محصلة أنواع النشاط المختلف الذي يقوم بها الفرد والتي يمكن عن طريق ملاحظتها ملاحظة فعلية خارجية أن يتعرف على الفرد، أو هي بعبارة أخرى الناتج النهائي لمجموعة وأنماط عاداته التي تميز عن غيره. (بيومي، 2006، ص280)

- **الاتجاه الثاني:** كما يذكر بيومي (2006):

" وهو الذي يركز على جوهر الإنسان وطبيعته الداخلية على اعتبار أن الإنسان مجموعة من الحالات والعمليات والتكوينات الداخلية التي لابد من افتراض وجودها حتى يمكن فهم السلوك الظاهري الملاحظ لدى الفرد."

وبعبارة أخرى ينظر هذا الاتجاه إلى الشخصية على أنها تنظيم يتضمن كل النواحي النفسية والعقلية والمزاجية والأخلاقية سواء كانت فطرية غريزية أو كانت مكتسبة عن طريق الخبرة سواء كالاستعدادات والميول .

وبناء على ذلك، يمكن أن نستخلص أن الشخصية، هناك من يعرفها كونها بناءا سلوكيا، كما يذهب إلى ذلك العالم السلوكي آرثر كوستلر A. Koestler " الذي رسم صورة عامة للسلوك تتكون من سلاسل من المثيرات والاستجابات على درجة عالية من التنظيم يجمعها معا نسق من الصلات والاتصالات وتعمل بأسلوب يشبه الحاسب الآلي. وعلى أية حال، ومع أن السلوكيين لم يستخدموا مصطلح الكائن العضوي" إلا أنهم تمثلوا معناه في مركبهم التصوري الحاسب الآلي." (جلبي، 2016، ص184)

وهناك من يعرفها باعتبارها بناءا دافعيا. حيث " ينظر إلى الشخصية طبقا لهذا المدخل، على أنها وحدة عقلية مستقلة، ولقد استند هذا التصور إلى عدة افتراضات أو المسلمات. إذ يفترض جدلا أن مصادر سلوك الفرد تتركز في داخل نفسه، وإما أن تكسبها الوراثة طابعا نمطيا باعتبارها حاجات أو نوازع ثابتة أو غرائز أو تكتسب هذا النمط بواسطة مجموعة الخبرات المبكرة التي تزخر بها مواقف طفولة الفرد." (جلبي، 2016، ص181) ومن أهم رواد هذا المدخل نجد فرويد.

ب- التعريف السوسيولوجي للشخصية:

جل التعاريف السوسيولوجية للشخصية تصب في فكرة رئيسية، وهو التركيز على الجانب الاجتماعي للشخصية سواء تعلق ذلك بكيفية التأثير أو التأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية، أو بعلاقة الشخصية بالتنشئة

الاجتماعية، أو إبراز أهمية التوافق الاجتماعي، على اعتبار أن هذا التوافق هو نتاج لما مدى الفرد من سمات الشخصية، وهناك العديد من التعاريف الاجتماعية التي تحاول أن تعكس هذه المفاهيم الشخصية من أهمها:

تعريف لندبرج:

يرى لندربرج أن اصطلاح الشخصية يشير إلى " العادات والاتجاهات والسمات الاجتماعية الأخرى التي تميز سلوك فرد معين ولذلك تدل الشخصية على أنساق السلوك التي تكتسب من خلال عمليات التعليم والتفاعل الاجتماعي ومن أجل هذا لا يطبق اصطلاح الشخصية على المظاهر الفيزيقية الخارجية "(بيومي، 2006، ص286). ويقصد بكون أنه لا يطبق مصطلح الشخصية على المظاهر الفيزيائية الخارجية أو على الوظائف الداخلية للكائن، كالتنفس وحفظ حرارة الجسم أو تنظيم المكونات الكيميائية للدم والخلايا أو الهضم أو امتصاص الطعام... وغير ذلك .

تعريف سروكين:

يحاول سيروكين أن يبرز أهمية موضوع الشخصية في علم الاجتماع بقوله " أن الأفراد هم المكونات التي لا غنى عنها في كل الأنساق الاجتماعية والثقافية فإذا كان الأمر كذلك فإن شخصياتهم كتنظيم عقولهم وسلوكهم تؤثر من غير شك في إطار الأنماط الثقافية والاجتماعية." (بيومي، 2006، ص287). على هذا النحو فإن سروكين يؤكد على ما ذهب إليه سبنسر، كون أن طابع الكل يحدد طابع الوحدات المكونة له .

تعريف بارسونز:

تعتبر دراسة الشخصية عند بارسونز عن ارتباط الفرد بنسق من أنساق الثقافة داخل البناء، حيث يشير مفهوم الشخصية عنده إلى " العناصر المكونة لبناء الشخصية العادية في المجتمع، ولا يشير إلى بناء الشخصية الفريدة المميزة باعتبارها وحدة ملموسة محسوسة. وقد أكد بارسونز أن عملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يكتسب بها المرء في طفولته عناصر شخصيته الأساسية" (بيومي، 2006، ص289).

وهذه العناصر الأساسية هي التي تدخل في لب تكوين شخصيته، والتي من خلالها تعمل إلى حد كبير على بناء الأدوار الأساسية والقيم السائدة في البناء الاجتماعي كما تقوم هذه التوجيهات دورا أساسيا في تعريف التوقعات للأدوار وبناء الشخصية .

ويضيف بيومي (2006) " بيد أن هذه العناصر ليست صلبة أو جامدة كما أنها في الوقت نفسه ليست طبيعة مرنة يستطيع المرء أن يغيرها حسب إرادته. لأنها تتنوع محتفظة بالسمات الأساسية للشخصية بتغير تجارب المرء. فأهم ما يميز العناصر الأساسية لبناء الشخصية هو الاستقرار النسب."

تعريف بيسانز:

يرى بيسانز " أن لكل منا شخصية طالما أن كلا منا مر بعمليات التنشئة الاجتماعية لذلك فإن أفضل تعريف للشخصية في نظره، أنها تنظيم يقوم عادات الشخص وسماته. وتنبثق من العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية." (بيومي، 2006، ص 284). وهو يعني بالتنظيم منا تكامل العادات والاتجاهات والسمات كما ينظر إلى العادات على أنها طرق دائمة نسبيا يسير عليها الفرد في سلوكه في مواقف معينة .

تعريف أجبن ونيمكوف:

الشخصية عند كل من أجبرن ونيمكوف " عبارة عن التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني معبرا عنه في عادات وشعور واتجاهات وآراء." (بيومي، 2006، ص 284). ويحاول بيومي (2006) أن يشرح هذا التعريف حيث أنه يعني " بالتنظيم هنا تكامل العادات والاتجاهات والسمات كما ينظر إلى العادات على أنها طرق دائما نسبيا يسير عليها الفرد في سلوكه في مواقف معينة."

2- مقومات الشخصية:

على رغم من دور التنشئة الاجتماعية في عملية تكوين الشخصية، وصقلها في قالب يراعى فيه نمطية السلوك والأفكار لبيئة اجتماعية معينة، إلا أن هناك على الأقل أربع محددات هامة لتكوين الشخصية كما يشير إلى ذلك بيومي (2006):

- المقومات الوراثية والبيولوجية .
- البيئة الجغرافية .
- البيئة الثقافية .

حيث أن الطبيعة الخاصة والنوعية لكل من هذه العوامل الأربعة، تؤدي إلى تنوع واسع في أنماط الشخصية وتحدد إلى درجة كبيرة عمليات التنشئة الاجتماعية ذاتها وذلك على النحو التالي:

أ- المقومات الوراثية والبيولوجية:

يولد الإنسان مزودا ببناء تشريعي وفسيولوجي وعصبي يحدد سلوكه الاجتماعي، وعند هذا الحد تعتبر الوراثة البيولوجية عاملا هاما في التنشئة الاجتماعية، تبدو الأهمية الكبرى لمقومات الوراثة البيولوجية في عناصرها ثابتة ولا تتغير(بيومي، 2006، ص328). حيث أن هذه المقومات الوراثية البيولوجية تصنع حدودا للأفراد يستطيعون أن يتخطوها كالتنوع البيولوجي بين المرأة والرجل أو بين القصير والطويل أو الأسود والأبيض أو الجميل والقبيح...إلخ، فهناك مستويات للعلاقة بين الفروق الوراثية أو البيولوجية وبين تكوين الشخصية. حيث تصنع هذه المقومات حدودا لا يمكن للفرد أن يتخطاها سواء كانت في صورة مواهب أو قدرات فيزيقية بحتة أو في صورة خصائص فيزيقية ذات دلالة ثقافية واجتماعية . فعلى العموم لا تستطيع المرأة أن تجاري الرجال في المجال الذي لديه علاقة بالقوة البدنية .كما أن الفتاة الجميلة تكون لها فرص الزواج أكثر من الفتاة القبيحة... إلخ. وأيضا الأشخاص ذوي الإعاقات البدنية يكونون أقل كفاءة من الأصحاء وهذا ما يدخل فيما بعد في تركيب شخصيتهم حسب قدراتهم وإمكانياتهم وصقل مواهبهم .

ب- البيئة الجغرافية وتكوين الشخصية:

تشتمل البيئة الجغرافية التي تحيط بالإنسان على أربعة عناصر أساسية هي الموقع والمناخ والطبوغرافيا والموارد الطبيعية وتمارس كل من هذه العناصر الأربعة تأثيرا متعدد على السلوك الإنساني بالرجة التي جعلت بعض الكتاب يميلون إلى اعتبارها العامل المحدد لهذا السلوك(بيومي، 2006، ص229)

فشخصية الفرد التي تنشأ في بيئة معتدلة ذات سهول ومروج وغابات كثيفة ومياه مندفعة ومناخ معتدل، تختلف عن شخصية الفرد التي ينشأ في بيئة صحراوية ذات أرض قاحلة جدباء، ومناخ جاف وشح الأمطار مما يؤدي إلى اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية مما يؤثر بدوره في تكوين الشخصية. وذلك من خلال ما تصنع هذه العوامل من تأثير في أسلوب الحياة مما ينعكس على الجماعة وشخصيتها ككل .

ج- البيئة الثقافية:

تختلف شخصية الأفراد باختلاف البيئة الثقافية التي ينشأ فيها كل فرد، فكل مجتمع يتبنى مجموعة من القيم والمعايير والعادات والمعتقدات والأعراف ويرسم لنفسه القوانين والتشريعات التي يتعين على أفراده أن يتمسكوا بها ويحددوا سلوكاتهم بمقتضاها، فلا يمكن بحال من الأحوال "أن تجد شخصية تلقى تنشئة اجتماعية بنفس الطرقة أو الأسلوب وبالتالي لا يمكن أن توجد شخصيات متماثلة تماما وتفسير إنما يمكن في اختلاف درجة ما يعرف بالمشاركة الثقافية التي يقوم بها الفرد الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تأثيرات، نوعية ومتميزة على الشخصية" (بيومي، 2006، ص229). إلى جانب ذلك فإن الاختلافات الثقافية داخل المجتمع الواحد حقيقة لا تقبل المناقشة، ومن ثم فالنتيجة التي يمكن أن تترتب على ذلك تجعلنا نؤكد اختلاف أنماط الشخصية في المجتمع الواحد ومن أبرز الأدلة على ذلك كما يشير (بيومي، 2006، ص333):

أ. أن الاختلافات التربية والتعليم تؤدي إلى اختلافات في الشخصية كما أن اختلافات العقيدة الدينية يمكن أن يؤدي إلى ذلك أيضا .

ب. إن اختلاف الطبقية التي تقوم على مقومات التسلسل الطبقي في المجتمع تؤدي أيضا إلى اختلافات في الشخصية يمكن أن نلحظها بسهولة إذا أجرينا دراسة عن العاملين في مهن مختلفة أو الذين ينتمون إلى شرائح اقتصادية شديدة التمايز .

ج. إن الاختلاف بين التنظيمات الاجتماعية الكبرى في المجتمع مثل الاختلاف الواضح بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري يؤدي إلى اختلاف جوهري في أنماط الشخصية .

د. كما يؤدي التغير الثقافي إلى تغير جوهري في الشخصية، لأن التغير الثقافي يصاحبه تغير اجتماعي يؤدي إلى تجديدات وتحويلات في القيم والاتجاهات. وإذا كان كبار السن أكثر محافظة وعدم قبول كل ما هو جديد بسهولة فإن الشباب نجدهم أكثر اندفاعا ومن ثم أننا نتوقع أن نجد في المجتمع الواحد أنماطا مختلفة من الشخصيات قد تظهر في الجماعة الواحدة .

د- البيئة الاجتماعية وتكوين الشخصية:

تتمثل البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد من أهم العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته. فالذي ينشأ في أسرة تتميز بالعلاقات القرابية الوثيقة يتعلم كثيرا من أشكال الولاء والانتماء والاحترام والتعاطف والتعاون وغير ذلك من الأمور التي تعتبر من أهم سمات شخصيته .على عكس الذي ينشأ في ملجأ والذي لو توفر له نفس الإمكانيات والمستوى المعيشي والثقافي فلن تجده مثل الأول. وكذلك الذي ينشأ في البدو والذي ينشأ في الحضر، فتركيبة شخصيتهما تختلفان من حيث ميولاتهم وتوجيهاتهم ." ولذلك فإن من السهل كما يتردد دائما أن تعرف نوية شخصية الفرد إذا عرفت إلى أي الجماعات ينتمي أو في أي الجماعات تمت عملية تنشئته الاجتماعية" (بيومي، 2006، ص334).

سادسا/ علاقة الفرد بالثقافة:

من أجل أن نعتبر كيانا ما مجتمعا لابد أن تتوفر فيه جملة من العناصر الأساسية، ومن أهم هذه العناصر الأساسية وجود الأفراد ولمعرفة ما مدى علاقة الفرد بالثقافة وما مدى التأثير والتأثر فيما بينهما، نحاول الإجابة عن تساؤلات رئيسية مفادها:

هل الأفراد هم الذين ينتجون الثقافة، أم أن للثقافة الأسبقية على وجود الأفراد، وما مدى تأثير الأفراد في تقبلها أو تغييرها ؟

وبغية الوصول إلى إجابات مقنعة عن هذه التساؤلات، يجب أن نلم بأهم النظريات التي تطرقت إلى الموضوع حسب مداخلها النظرية ومنطلقاتها التصورية المختلفة والتي تقضي هي بدورها إلى إجابات مختلفة،

ولذلك سنحاول التطرق إلى توضيح معنى الأفراد وأهميتهم في بناء أي مجتمع، ثم نتطرق إلى علاقة الفرد بالثقافة حسب المقاربات السوسيولوجية و الأنتربولوجية والسيكولوجية وهي كالآتي

1- المقاربة السوسيولوجية لعلاقة الفرد بالثقافة:

- كارل ماركس:

بشكل صريح في صيغة كارل ماركس والقول بإلغاء الفرد ولا وجود للفرد خارج الجماعة. وأن نفسية الفرد ما هي إلا إنعكاس لحياته الاجتماعية المادية منها خاصة، فالكل يفكر ويحيا تبعا لوضعه المادي وبنيته التحتية. ويبنون قولهم على الفلسفة المادية لماركس(فرحاتي، 2016، ص93) .

فالفكر الماركسي هو الفكر الذي يقوم على أساس فكرة الصراع، وكون أن الإقتصاد هو المحرك الأساسي للشعوب، ولعل لفهم علاقة الفرد بالثقافة علينا أن نعرف المراحل التي مرت عليها المجتمعات عبر التاريخ حسب ما يعتقد ماركس. وهو يرى أن التاريخ البشري مر بخمسة مراحل: المرحلة المشاعية ثم المرحلة الإقطاعية وبعدها المرحلة الرأسمالية ثم المرحلة الاشتراكية وأخيرا المرحلة الشيوعية .

حيث أن المرحلة الرأسمالية التي عايشها ماركس خصها بكثير من التحليل والتفسير، كونها تقوم على أساس الصراع الطبقي، بين طبقة قليلة تملك رأس المال وطبقة كبيرة كادحة من العمال لا تملك إلا جهد عملها، وعن طريق فائض القيمة تقوم الطبقة الرأسمالية باستغلال طبقة العمال أو البروليتاريا، وهنا حصل الوعي لدى هذه الطبقة المستغلة من العمال. فإنها تنتفض عن طريق الثورة ضد الطبقة الرأسمالية، وبذلك يحل محلها النظام الاشتراكي ثم بعده النظام الشيوعي فتقضي بذلك الشعوب على الاستغلال والفرو قات الطبقية ويعم العدل والإخاء والمساواة بين جميع الناس .

ولسنا نحن الآن في هذا الموضوع بصدد نقد هذه الأفكار، وما يهمنا هو محاولة ما مدى علاقة الفرد بالثقافة. رغم أننا لم يكن بوسعنا لفهم هذه العلاقة لولا هذا التمهيد .

وبناءا على ذلك فإن ماركس إلى جانب تقسيمه للمجتمع الرأسمالي إلى طبقتين متصارعتين، الطبقة التي تملك رأس المال، وطبقة العمال، فإنه يقسم المجتمع بدوره إلى بناءين، البناء الفوقي والبناء التحتي .

حيث أن لبناء التحتي يمثل قوى الإنتاج (الإنتاج الأساسي الإقتصادي المادي) وهو الذي يشكل القاعدة (الأساس) التي يرتكز عليها ما يسميه "الماركسيون" البناء الفوقي الفكري (الأيديولوجيا) أو المؤسسات السياسية، والدينية، والنظم والقانون...إلخ، خلال عملية الإنتاج الاقتصادي الاجتماعي، فإن الناس يدخلون في علاقات اجتماعية ويؤثرون في بعضهم البعض كما يؤثرون في الطبيعة، ويتشكل البناء الفوقي الذي يلاءم أسلوب الإنتاج أو نمط الإنتاج. فالبناء التحتي متغير مستقل والبناء الفوقي متغير تابع. وعليه تقول الماركسية فإن التطور الذي يحدث في البناء التحتي هو سبب تغير البناء الفوقي." (البصير، 2010، ص396) .

ومن خلال تحليلنا لمفهوم البناء التحتي والبناء الفوقي حيث يمثل هذا الأخير الأديولوجيا، فهذا ما يطلق عليه ماركس بالثقافة فقد "ثار كارل ماركس مع نشأته الألمانية، حين توصل إلى أن توصل إلى أن الثقافة ما هي إلا إيدليوجيا، وأنها غاليا ما تلعب دورا اجتماعيا تختبئ وراءه القوى الاجتماعية وتساعدهم في ممارسة السلطة بفاعلية .

... ورأى ماركس أن المجتمع هو الذي ينتج الثقافة وليست الثقافة هي المسئولة عن إنتاج المجتمع. وعبر عن الموقف يقوله:

وعي الناس لا يرسم حدود وجودهم، بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يرسم حدود وعيهم"(إنجلز، هيوسون، 2013، ص34-39). وعلى سبيل المثال تنشأ عن البنية التحتية للاقتصاد الرأسمالي الحديث بنية "فوقية تتألف من شبكة من المؤسسات والأشكال الثقافية الخاصة والمناسبة للمجتمع الرأسمالي، فدور الدولة هنا يكون لتأمين مصالح الطبقة الرأسمالية الحاكمة، أما النظام القانوني فهو آلية وضعت لحماية حقوق الطبقة الرأسمالية ومنحها حق السيطرة على الإنتاج . " ونفهم من هذا النموذج أن الثقافة هي عبارة عن

أيديولوجيا، وهنا تعني الأيديولوجيا تحريف الواقع الاجتماعي (والاقتصادي والسياسي) أو تشويهه لخدمة مجموعة المسيطرة... وفي ما يخص عملية الإنتاج فإن الذين ينتجون الأيديولوجيا وينشرونها هم **مجموعة من الأفراد** الذين ينتمون إلى الطبقة المسيطرة في المجتمع، مثل المفكرين والفنانين والفلاسفة ورجال الدين. فدورهم هو إنتاج الأيديولوجيا ونشرها لتتقبلها وتمارسها القطاعات الأخرى في المجتمع" (إنجلز، هيوسون، 2013، ص42) .

ومما سبق نستنتج أن أسلوب الإنتاج المتتبع في مجتمع ما، والذي يمثل البناء التحتي ينعكس على البناء الفوقي الذي يمثل الأيديولوجيا أو الثقافة كما يعتقد ماركس وبذلك تؤثر هذه الثقافة على أفراد المجتمع ونمط حياتهم عن طريق ما ينشره المفكرين والفلاسفة والأدباء والمنظرين وغيرهم ممن يؤثرون بأفكارهم على المجتمع .

ومن أهم الانتقادات التي وجهت لأفكار كارل ماركس، نستعرض أهم ما أشار إليه كل من ديفيد إنغليز وجون هيوسون (2013) وهي كما يلي:

– إن الثقافة ليست منبثقة عن "العوامل المادية" أو أنها ثانوية. فهي بأهمية العوامل المادية، في التسيير الفعلي للمجتمعات الإنسانية .

– لا تعلى جميع مجتمعات العالم من شأن الاقتصاد على حساب الثقافة كما تفعل الرأسمالية الغربية الحديثة. فالنموذج الماركسي يمكن بالضرورة صحيحا عالميا. فهناك مجتمعات مرتكزة على المسائل الثقافية أكثر من الرأسمالية الحديثة .

– لا يوجد انفصال تام أو مطلق بين العوامل المادية والعوامل الثقافية، فهي في حالات ملموسة، مرتبطة بعضها ببعض فثمة جوانب مادية للثقافة كما أن ل "العوامل المادية" جوانب ثقافية .

– من الخطأ أن نعتبر العوامل المادية (الاقتصادية والاجتماعية) واقعية والعوامل الثقافية "مثالية"، فالأولى لا تقل واقعية عن الأخرى .

– من الغريب أن ماركس على الرغم من عدائيته ونقده لأراء الفكر المثالي، يقع في المطلب نفسه عندما يصف الثقافة بأنها بطريقة ما (فوق) المجتمع، وجزء من البنية الفوقية. وبهذا فهو يكرر خطأ المثاليين الذي أشار إليه بنفسه، وهو أنهم لم يدركوا ارتباط "المجتمع" و"الثقافة" أحدهما بالأخر .

– لا يمكن أن تنحصر الثقافة في "الأيديولوجيا" ومصالح الطبقة الحاكمة فماركس لا يعطي الثقافة حقها .

– ينبغي ألا نربط الثقافة كليا بالبنية التحتية. فعلينا اعتبارها مستقلة عن العوامل المادية، أو على الأقل شبه مستقلة عنها .

– دور كايم:

ولد إيميل كايم (1858–1917) وهو يعتبر عالم من علماء علم الاجتماع اهتم بالثقافة رغم أنه كان يطلق مصطلح الحضارة بدلالته الثقافية .

" إن دور كايم نفسه لم يكن يستعمل أبدا، تقريبا، مفهوم الثقافة. لقد ترجمت، غالبا، كلمة "لاثقافة" المستعملة في اللسان الأجنبي ب "حضارة" في مجلته. ولكن لئن لم يعمد إلى استخدام مفهوم "ثقافة" إلا استثناء فلم يعن ذلك أنه كان يعرض عن الظواهر الثقافية .

كان للظواهر الاجتماعية، بالنسبة إليه، بعد ثقافي بالضرورة بما أنها ظواهر رمزية أيضا" (كوش، 2007، ص44) .

أما بخصوص علاقة الفرد بالمجتمع والثقافة، فهو يعتقد بأولوية المجتمع على الفرد، ومنذ أن انتهى من مؤلفه الانتحار (1847) حيث تطرق من خلاله إلى نظرية (الوعي الجمعي)، تمثل شكلا من النظرية الثقافية. يوجد بالنسبة إليه، في كل مجتمع، "وعي جمعي" يتشكل من التمثيلات الجماعية والمثل والقيم والمشاعر المشتركة بين كل أفراد ذلك المجتمع. هذا الوعي الجمعي يسبق الفرد ويفرض عليه، وهو بالنسبة إليه خارجي ومتعال. وهناك تقطع بين الوعي الجمعي والوعي الفردي، فالأول "أعلى" من الثاني لأنه أكثر تعقيدا وغير محدد. إن الوعي الجمعي هو الذي يحقق وحدة المجتمع وتماسكه. (كوش، 2007، ص48) .

والضمير الجمعي كما يؤكد عليه دور كايم، "هو تلك الظاهرة التي تتولد عن العيش المشترك للأفراد في نفس المجتمع ولكنها تختلف كما يجري في مشاعرهم الفردية، ويمثل الضمير الجمعي شيئا يشبه مجموع ضمائر الأفراد ولكنه أكثر منها ويختلف عنها وأسمى منها، ومستقل عنها وله خصوصية لا توجد في ضمائر الأفراد كأفراد. والضمير الجمعي هنا يشبه التفاعل الكيميائي لعدة عناصر مختلفة تؤدي إلى مركب كيميائي جديد يختلف عن العناصر الداخلة في تركيبه (البصير، 2010، ص221) .

حيث يعتبر دور كايم أن الضمير الجمعي هو القيم الأخلاقية والتصورات الجمعية يلتزم بها الأفراد ولا يستطيعون الخروج عنها ولها دور كبير في تشكيل سلوكهم وفكرهم .

ولكن دور كايم قال بأن الظاهرة الاجتماعية لا تخالف فقط الظاهرة النفسية فحسب بل تخالفها في الأسس التي ترتكز عليها لأن للمجتمع وجود خاص وروح خاصة وصفات مميزة وعادات، وهو أغنى من الشعور الفردي المغمور في بحر الحياة الاجتماعية والمتأثر بها (البصير، 2010، ص221) .

وبتقسيم دور كايم المجتمعات إلى قسمين، المجتمع التقليدي البسيط والمجتمع المعقد الحديث، حيث يسود المجتمع التقليدي بما يعرف بالتضامن الآلي وهو يتميز ببساطة الحياة الاجتماعية وتجانس أعضاء المجتمع وتشابه تفكيرهم وسلوكهم ومشاعرهم وإحساسهم وأعمالهم ومهنهم وتمسكهم بنفس القيم والمعايير، ومن مميزات هذا المجتمع أيضا انصهار الفرد في المجتمع وغياب الحرية الفردية، ومصالح الفرد مندمجة في مصالح الجماعة والروابط الاجتماعية بين الأفراد متينة، ولذلك فإن الضمير الجمعي يكون قويا .

أما المجتمعات الحديثة والمعقدة فهي تتميز بتقسيم العمل وتنوع الوظائف والتخصص وهيئات مختصة تقوم بوظائف ومهام مختلفة في ميدان الاقتصاد، والتربية، والسياسة، وتشريع القوانين. ومن مميزات هذه المجتمعات التفاوت الطبقي الاجتماعي وضعف الروابط الاجتماعية ويسود هذه المجتمعات التضامن العضوي" (البصير، 2010، ص223) . ويكون الضمير الجمعي في المجتمعات الحديثة أكثر مرونة وأقل صرامة منه كما هو موجود في المجتمعات التقليدية .

وبناء على ما سبق فإن دور كايم يعطي أولوية الظاهرة الاجتماعية على الفرد، فالظاهرة الاجتماعية أسبق على الفرد وهذا الموضوع تطرق إليه دور كايم بإشهار لتوضيح رؤيته في هذا الشأن في الفص الأول من كتابه "قواعد المنهج العلمي" .

فالفرد عند مولده يجد نظما اجتماعية مستقرة ومتفق عليها وعليه الالتزام بها واحترامها والامتثال لقوانينها وعليه أن يتصرف ويفكر وفقا ما تمليه عليه فهي ظواهر قسرية وجبرية .ويمكن تلخيص خصائص الحقيقة الاجتماعية كما يذكرها(البصير، 2010، ص220) وهي كما يلي:

- حقيقة موجودة قبل وجود الفرد
- لا يستطيع الفرد أن يغيرها
- جبرية ولا تترك للفرد حرية الاختيار ومن يخرج عنها يتعرض للجزاء السلبي
- هي حقيقة عامة، بمعنى يخضع الجميع للمجتمع
- هناك ظواهر اجتماعية أكثر جبرية من ظواهر أخرى

إلى جانب ذلك فقد أشار دور كايم في كتابه (الأشكال الأولية للحياة الدينية)، أن الأفكار الدينية والأخلاق والقيم هي (حجر الأساس) في المجتمعات كلها. وهي العناصر البالغة الأهمية في أي نظام اجتماعي وليست العوامل المادية كتقسيم العمل، وهناك ثلاث آثار مترتبة على هذا الرأي يوضح جانب آخر من علاقة الثقافة بالفرد كما يشير إلى ذلك كلا من (إنغليز، هيوسون،2013، ص56) وهي كما يلي:

الأول: أي لجميع الثقافات، بغض النظر عن مدى تطور المجتمع، دورا اجتماعيا يشبه دور الديانات، وهو أنها تعمل كرابط بين الأفراد من خلال نشر الأعراف والقيم المشتركة .

الثاني: أن الثقافات كالديانات تقسم العالم إلى قسمين، الأول (مقدس) والثاني (مدنس). إذ تحدد الثقافة وتوضح للأفراد في ذلك المجتمع القيم الأخلاقية الرئيسية التي يجب عليهم ليس العمل بها فحسب، بل أن يعتزوا بها أيضا من خلال تحديد الأمور المسيئة أخلاقيا .

الثالث: أن مثل هذه الارتباطات تعزز في المجتمع باستمرار بواسطة طقوسه، وتشكل هذه الطقوس علاقة ترابط مشتركة بين أفراد المجتمع، يجددون من خلالها ولائهم والتزامهم بالقيم الثقافية الرئيسية في المجتمع. وتنغرس المعتقدات والمعايير في وعي الأفراد بواسطة هذه الطرق المتنوعة وتحثهم إلى فعل سلوكيات مرغوب فيها اجتماعيا، وينطبق هذا على المجتمعات الحديثة كما ينطبق على غيرها .

- بورديو ومفهوم الهابيتوس وعلاقته بالفرد:

عندما يقصد بورديو معالجة الثقافة في معناها الأنثروبولوجي يلجأ إلى استخدام مفهوم أخر هو الهابيتوس في مؤلفه: الحس العلمي يعمد إلى التفسير الأطول، ولاشك، لتصوره الخاص للهابيتوس، وبحسب تعريفه الهابيتوس هو:

أنساق من الاستعدادات المستدامة والقابلة للنقل. إنها بنى مبنية، أي باعتبارها مبادئ مولدة ومنظمة لممارسات وتمثلات يمكن لها، موضوعيا، أن تتأقلم مع هدفها، من دون افتراض رؤية واعية للغايات والتحكم الصريح في العمليات الضرورية من أجل بلوغها (كوش، 2007، ص142) .

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ "الهابيتوس" يعود في الأصل اللغوي إلى الكلمة اليونانية (Hexis)، وقد ترجم فيها بعد إلى اللاتينية بكلمة (Habitus)، وهي تعني السمت أو الطبع.

ومن خلال تعريف بورديو يتضح أن الهابيتوس من أهم خصائصه أنه عبارة عن أنسقه من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتحويل .

المقصود بذلك أن الهابيتوس يكون في إطار النسق ألاستعدادي الفردي، وهو بمثابة تنوع بنيوي اشتقاقي يعبر الفرد من خلاله عن فردانيته وعن طابعه الخاص الذي يميزه عن باقي الأفراد، ونسق هذه الاستعدادات الدائمة يجعل الفعل غير صادر عن إرادة واعية ولا عن استجابة لمنبهات خارجية. لكن كمسار دائم قادر على التكيف والاختراع حسب الظروف الموضوعية التي تحيط بالفرد، وبذلك فالهابيتوس هو آلية لا واعية، لا ينتج عن إرادة حرة وواعية، بل يشتغل بكيفية لا واعية(لعريني، نوفمبر2014) .

ويتخذ صيغة أفعال تلقائية وممارسة عملية أكثر مما يتخذ صيغة فعالية ذهنية قائمة على التفكير، فرغم أن الاختيارات والمواقف التي يتبناها الأفراد تبدو لهم تلقائية وتعبيرات عن رغباتهم فهي حسب بورديو تعبير عن حتمية صارمة، تتمثل في آلية الهابيتوس، وهذا يعني أن كل الأنشطة التي يعبر عنها الفرد سواء كانت رمزية أو عملية أو حركية، فهي شكل من أشكال الاستظهار، لاستيطان قهر ثقافي واجتماعي، حدث خلال مرحلة التنشئة الأسرية والمدرسية، تحت تأثير المحيط الثقافي والاجتماعي للفرد(لعريني، نوفمبر 2014).

ورغم ذلك يبقى للأفراد هامش من الحرية، فبقدر كون الفرد محدد ببنيات اجتماعية موضوعية، بقدر ما هو قادر على طبع البنيات بطابعه الخاص .

ولذلك يمكن القول أن الفرد يتمتع بنوع من الحرية النسبية وفي نفس الوقت هناك نوع من الحتمية للبنيات الاجتماعية الموضوعية التي يخضع له الفرد .

وحول أصناف الهابيتوس فإن لعريني (نوفمبر 2014) يشير إليها كما يلي:

- الهابيتوس الأولي:

هو نتاج للتنشئة الأسرية خلال المراحل الأول من الطفولة، حيث تم بناء، الخطاطات الأولى، ويستبطن الطفل المعايير والأدوار الخاصة بالأسرة وبالطبقة التي ينتمي إليها، ويعتبر بورديو أن الفعل التربوي الذي يحدث خلال مرحلة التربية الأولية هو المحدد الحاسم في بناء الهابيتوس، بحيث يصعب فيما بعد تغييره بشكل جوهري. ويحمل الهابيتوس الأولي الخصائص الاجتماعية للأسرة والطبقة التي ينحدر منها الفرد، حيث يكتسب الطفل عبر تجاربه المتراكمة الذوق والإحساس وأساليب العيش، أو ما يسميه بورديو ب "إيطوس الطبقة"، فهو يتشكل عن طريق التجارب المندمجة في وحدة مكونة لبيوغرافيا صارمة، تنتظم انطلاقا من الوضعيات الأصلية والمعيشة لطبقة معينة في إطار صنف محدد من البنية الأسرية .

- الهابيتوس الثانوي:

وإذا كان الهابيتوس الأولي يتشكل خلال المراحل الأولى من الطفولة عن طريق التنشئة واستبطان الخصائص الأسرية والاجتماعية من لدن الطفل، فإن الهابيتوس الثانوي يتكون بدوره خلال مرحلة التنشئة المدرسية التي تكرس ثقافة الطبقة المسيطرة وتضفي عليه الشرعية وتمارس نوعا من العنف الرمزي على أبناء الطبقات المحرمة الذين يمتلكون هابيتوس مختلف عن ذلك الذي يمتلكه الورثة .

ويرى بورديو وباسرون أن كل من الهابتوس الأولي والثانوي يتجهان نحو التكامل، عندما تكون الثقافة الأسرية متشابهة وقريبة من الثقافة المتداولة في المدرسة .

فالعلاقة هنا إذن هي علاقة تكامل وتراكم، بحيث تحظى الثقافة الأسرية بتقدير المدرسة. وفي حالة تباعد وتنافر الثقافة المميزة للأسرة والثقافة المتداولة في المدرسة، فإن التربية والتأثير البيداغوجي يظلان عاجزين عن بناء وتلقين هابيتوس جديد، وعن تكوين صفات اجتماعية من نوع آخر، ما عدا في حالة هيمنة وسيادة بيداغوجية استبدادية صارمة، كما هو الشأن في المعسكر والسجن والمعتقل .

في نفس الاتجاه يؤكد بورديو، أنه في المجتمعات التي تتميز بهيمنة طبقة معينة، عن طريق تملكها للسلطة وفرض قيمتها الثقافية كواقع مشروع، فإن التنشئة المدرسية لا تسعى بالدرجة الأولى استبدال الهابتوس الأولي بالهابتوس الثانوي لدى أبناء المحرومين، بقدر ما تتوخى جعل هذه الفئات تقر مشروعية الاجتماعية للهابيتوس المدرسي المتمثل في الثقافة السائدة، وفي القسم الثقافي المكرس من طرف النظام التربوي الرسمي .

- ماكس فيبر (1920-1964):

قام ماكس فيبر بواحدة من أولى المحاولات لتوضيح العلاقة بين الظواهر الثقافية والطبقات الاجتماعية . وذلك من خلال مؤلفه الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية الصادر سنة 1905، حيث بين في دراسته المعروفة هاته أكثر من غيرها .

إلا أن السلوكات الاقتصادية التي تتخذها طبقة المقاولين الرأسماليين ليست قابلة للفهم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تصورهم للعالم ونسق القيم لديهم. وإذا كانت هذه الطبقة قد ظهرت أولا، في الغرب فليس ذلك مصادفة. إن انبثاقها يعود، بحسب رأيه، إلى سلسلة من التغيرات الثقافية المتصلة بميلاد البروتستانتية (الحوش، 2004، ص135) . حيث أوضح ماكس فيبر أيضا في مؤلفه هذا أن النظام الرأسمالي الذي ظهر في أوروبا واعتناق أفراده لمبادئ وتعاليم الديانة البروتستانتية التي تدعو إلى التقشف وعدم التبذير واستعمال العقلانية في تسيير جميع شؤون الناس، مما حفز الناس على تكوين الثروة واستغلالها في المشاريع الرأسمالية فالأفكار والقيم والمعتقدات تعتبر أهم العناصر الثقافية التي تحدد تصورات وسلوكات الأفراد، وهذا عكس ما ذهب إليه ماركس حسب تصوره كون أن البنية التحتية أي الاقتصاد هو الموجه الأساسي للبناء الفوقي أي الأديولوجيا والتشريعات والقوانين والنظم السياسية والتربوية ... الخ .

أما ماكس فيبر نجده يؤكد على ضرورة دراسة العوامل الثقافية وخصوصا المعتقدات والقيم والأفكار وتأثيرها على صيرورة التنمية والتقدم التي يعرفها المجتمع ككل ومن ضمنها الجانب الاقتصادي. حيث يقول بهذا الصدد " إن بإمكان الدراسة الراهنة أن تساهم في جانبها المتواضع، في تفسير كيفية تحول الأفكار إلى قوى تاريخية فعالة(فيبر، د.ت، ص58).

فإذا كانت البروتستانتية ساهمت بشكل كبير في نمو الوتيرة الاقتصادية في فرنسا، إلا أن هذا الأمر لم يحدث في الصين على سبيل المثال رغم توفرها على حيز جغرافي واسع وشروط مادية مناسبة، وذلك راجع إلى العادات والتقاليد الصارمة والمفروضة على أفراد هذا المجتمع بسبب تمسكه بالكونغوشيوسة، حيث كانت حائلا أمام نمو الرأسمالية بهذا البلد والسؤال الذي يفرض نفسه هنا، هو كيف ساهمت البروتستانتية في ظهور الرأسمالية في أوروبا عقب الإصلاح الديني الذي جاء به كلا من جون كالفن (1509-1564) وهو فرنسي الأصل ومارتن لوثر (1483-1546) الألماني الأصل .

يشير فيبر (د.ت) إلى أن:

الكالفينية تؤمن أن الورشة مقدسة شأنها شأن الكنيسة، فالاعتقاد الديني هو الذي ساهم في الاقتصاد، وبناء على ذلك فإن العامل الثقافي هو الذي يصنع الثروة .

إلى جانب تقديس العمل من قبل الكالفينية باعتباره العامل الأساسي الذي يجازا عليه الفرد يوم القيامة. وذلك بالاعتماد على العقلانية الرشيدة .

وبهذا يربط فيبر ظهور الرأسمالية، كنمط حياة عقلاني جديد يتحول في الأفكار والقيم الدينية أساسا. فقد لاحظ أن الكاثوليكية تتضمن قيما ومعاني تعظم الحياة الأخرى، وتجعل من الحياة الدنيا مجرد جسر للآخرة. مما أدى إلى الاهتمام بالنشاطات الدينية وممثليها للخلاص. أما حركة الإصلاح الديني وخاصة ما جاء به كالفن، فقد ركزت على معان وقيم جعلت للحياة أهمية، وجعلت نجاح الإنسان الدنيوي طريق خلاصه(عثمان، 2006، ص351) .

تضمنت البروتستانتية قيما تحتوي على قيمة كبرى للعمل والنجاح وعدم التبذير، وأخلاقيات العمل. لعبت هذه الأفكار الجديدة دورا مهما في تطوير اتجاهات وأنماط سلوك نحو العمل وعمليات الإنتاج، وارتبطت هذه الأفكار بالفعل العقلاني كأساس لتحقيق الأهداف الاقتصادية، يجعل العقلانية أساس للفعل والتنظيم(عثمان، 2006، ص351).

وخلاصة القول، فإن فيبر يبرز لنا أهمية الأفكار الدينية وتأثيرها على تصورات الأفراد وسلوكياتهم ومدى تأثيره على التغير الاجتماعي والاقتصادي، فحسب رأيه أن الكاثوليكية التي كانت تقدس الآخرة فحسب، جعلت الأفراد ينفرون من أي نشاط أو نجاح اقتصادي أو غيره يسعون لتحقيقه في الحياة الدنيا، فأما البروتستانتية التي تقدس الآخرة وتقدس العمل والمصنع جعلت من الأفراد منتجين فعالين ناجحين .

2- المقاربة الأنتربولوجية لعلاقة الفرد بالثقافة :

يعرف تايلور (1832-1918) الثقافة أو الحضارة لموضوع في معناه الإثنولوجي الأكثر اتساعا " هي هذا الشكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"(كوش، 2007، ص31).

وهو من أشهر التعريفات الأنتربولوجية للثقافة " وأكثرها ذيوعا لقيمتها التاريخية وهو على الرغم من قدمه يبقى متكاملا بصورة مدهشة، غير أن الانتقاد الذي يوجه إليه أنه يبالغ بعض الشيء وصفيته، كما أنه لا يسلط الأضواء على جميع الآن"(عماد، 2006، ص45).

ومع ذلك أدى هذا التعريف الوصفي إلى توسيع الحقل الثقافي، فهو يبرز العناصر المعنوية اللامادية الناتجة عن التفاعل الاجتماعي كالأخلاق والقانون والعرف، وتكون ذات طابع إجباري بالإضافة طبعا إلى العناصر المادية كالسهم والرمح والسيف والفأس وما إلى ذلك، فضلا عن الفنون العملية مثل الصيد وصناعة الحراب وإشعال النار... إلخ

وإذا كان هذا المفهوم العام للثقافة في المدخل الأنتربولوجي ، فقد ظهرت عدة اتجاهات ونظريات أنتربولوجية حاولت أن تربط الثقافة أكثر بالمجتمع وأخرى حاولت ربطها بصيغة خاصة بالفرد والشخصية، و كما هو معروف تنقسم الانتربولوجيا إلى قسمين رئيسيين:

الانتروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجيا و هي التي تهتم بدراسة تطور الإنسان من الجانب البيولوجي و خصائصه و تباين الإنسان من مكان إلى آخر.

و أما الانتروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية فان مدار البحث فيها "هو البحث عن أصول المجتمعات و الثقافات الإنسانية و تاريخها، تتبع نموها و تطورها و تدرس بناء و وظائف الثقافات في المجتمعات الإنسانية سواء في ألماض او الحاضر . بمعنى آخر ، ان الانتروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها سواء كانت ثقافة الأسلاف او ثقافة المعاصرين" (بيومي،2006،ص 109)

و من هذه الأخيرة فقد تبلورت خلال القرن الماضي وتحديدا في نصفه الأول ثلاث اتجاهات رئيسية تفاعلت مع بعضها وهي :

- الاتجاه التاريخي _ التخصصي
- الاتجاه البنائي الوظيفي
- الاتجاه التاريخي النفسي

الاتجاه الأول نشأ في إطار الدراسة النظرية للتاريخ الحضاري للإنسانية. وهو عبر عن استمرار الاهتمام باستخدام التاريخ لتفسير ظاهرة التباين الثقافي للمجتمعات الإنسانية، وتأثر هذا الاتجاه بالمدرسة الجغرافية الألمانية ورائدها فريدريك راتزل (عماد، 2006، ص50) .

ومن أهم تلاميذ فريدريك راتزل و تلميذه فروبينيوس صاحب نظرية الانتشار الحضاري بين أندونيسيا وأفريقيا، وانطلاقا من هذا المنظور افترض البعض أن انتشار العناصر الثقافية في مختلف المجتمعات كان مركزها الأول هو مركز واحد وقد كان هذا الانتشار سببه الحروب والغزوات والتجارة والهجرة .

تزعم هذه المدرسة البريطاني إليو سميث (1871-1937) ومعه تلميذه وليم بيري (1888- 1949) اللذان كان يعتقدان أن مهد الحضارة الإنسانية الأولى نشأت وازدهرت في مصر القديمة منذ حوالي خمسة ألاف سنة قبل الميلاد تقريبا حيث كان الإنسان البدائي يعيش على الصيد .وهناك من متبني هذه المدرسة من نحا نحوا آخرا حيث لا يعتقد أن أصل العناصر الثقافية منبعها مركزا واحدا بل مراكز متعدد وهذا ما يفسر الاختلاف الثقافي بين المجتمعات ويتزعم هذا الرأي كلا من فريتز غرايبز (1877- 1934) و ولهام شميدت (1868- 1959) .

أما الإتجاه البنائي – الوظيفي فقد نشأ في الوقت الذي ظهرت في نظرية الانتشار الثقافي في أوروبا وأمريكا، كرد فعل عنيف إزاء النزعة التطورية .واتصف هذا الاتجاه بأنه لا تطوري ولا تاريخي إذ ركز على

دراسة الثقافات كلا على حدة في واقعها وزمنها الحالي. فالوظيفة إذا دراسة آنية ترفض المنهج التاريخي(عماد، 2006، ص52)

وهي بالتالي تركز على العلاقات القائمة بين عناصر تلك الظاهرة وعلاقتها بغيرها من الظواهر .

وقد تبلور هذا الاتجاه عن طريق الأبحاث التي قدمها كلا من البريطانيين برنسو مالينوفيسكي (1844-1942) و راد كليف براون (1881- 1955) وهو اتجاه استفاد من المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية .

وكان مالينوفسكي يرى أن ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد، والتي حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية والأمان والاسترخاء والحركة والنمو .وتنشأ النظم الاجتماعية عادة لتحقيق تلك الرغبات، فنجد مثلا أن الزواج والأسرة يشبعان الحاجة الجنسية ويؤديان وظيفة الإنجاب والتربية". (عماد، 2006، ص52)

- أما الاتجاه الثالث فقد ظهر نتيجة الأفكار والتصورات النفسية التي ق ام بها سيغموند فرويد (1856-1939) حيث ظهرت عدة أبحاث التي عالجت الطابع القومي للشخصية من أهم هذه الدراسات دراسة روث بنديكت (زهرة الكريزنتم والسيف 1946) أظهرت من خلالها مدى ولاء ال يابانين للإمبراطور وتقديسه ومن خلال هذه الدراسة أيقنت الحكومة الأمريكية أنه من المستحيل إيقاف الحرب إذا لم يأمر الإمبراطور بذلك .

و قد شهدت الأنتربولوجيا الثقافية في الفترة ما بين (1930- 1940) و هي الفترة التوسعية لهذا الاتجاه بسبب التحولات والمشكلات الخاصة بالأنتربولوجيا الثقافية وخاصة في أمريكا التي تركزت فيها دراسات هذا الفرع للأنتربولوجيا ." ففي تلك الفترة تعرضت كل من المدرسة التاريخية والمدرسة الانتشارية للنقد الشديد من داخل وخارج أمريكا وخاصة من علما ء الأنتربولوجيا الاجتماعية. اعترفت الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنتربولوجيا الثقافية وخصصت لها فرعا في أقسام علم الاجتماع". (وصفي، د.ت، ص54)

ومن النظريات أيضا التي اكتملت معالمها في تلك الفترة أيضا (النظرية التناسقية التكاملية) مهد لها العلامة الأمريكي (سابير E. Sapir)، عندما اعترض على فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها ولذلك نادى "بضرورة اهتمام الانتربولوجيا بالفرد وبأفكاره الرمزية لأن كل سلوك ثقافي هو سلوك رمزي أي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة". (وصفي، د.ت، ص56)

سابعا/ علاقة المجتمع بالثقافة:

من الأمورات المسلم بها منطقيا وتاريخيا أنه لا وجود لثقافة من دون مجتمع والعكس صحيح، أي لا وجود لمجتمع من دون ثقافة، ورغم ذلك فهذا لا يمنع من وجود فرق بين الثقافة والمجتمع . فالمجتمع كما رأينا فيما سبق، يرتكز على مقومات أساسية، من دونها لا نستطيع أن نطلق عليه مجتمع، ومن أهم هذه المقومات وجود عقيدة أو أيديولوجيا تجمع الأفراد، سواء كانت عقيدة إيمانية أو ملحدة، تكون لها الولاء للمجتمع، فالحضارة الإسلامية في الماضي، كانت تجمع أفرادها فكرة التوحيد وبذلك شكلوا مجتمعهم وحضارتهم والإتحاد السوفيتي سابقا، كانت الأفكار الشيوعية والاشتراكية والإلحادية هي التي تجمعهم، والمجتمع الأمريكي الحالي رغم تنوع أطيافه ونسيجه العقائدي والعرقي إلا أن فكرة القومية الأمريكية تجمعهم .وبناء على ذلك فإن المجتمع " لا يتحقق وجوده بمجرد اجتماع عدد الأفراد، ولكن عندما يكون اجتماعهم على أساس عقائدي مشترك وقيم ومبادئ مشتركة، وتنشأ بينهم عادات وتقاليد وأعراف تنظم تفاعلهم... واختصارا عندما تجمعهم ثقافة واحدة، تلك الثقافة هي التي تعطي للمجتمع وجوده الحقيقي وصفته الاجتماعية المميزة." (زعيمي، 2004، ص306)

وقد أشار دور كايم إلى مضمون الثقافة وتلازمها مع المجتمع سواء كان المجتمع بدائيا أو حديثا، وذلك عندما أطلق مفهوم الضمير الجمعي أو العقل الجمعي الذي يكون مفروضا على الأفراد من قبل المجتمع، حيث يكون أكثر صرامة في المجتمعات البدائية وأكثر مرونة في المجتمعات الحديثة. ولكنه من المستحيل وجود مجتمع من غير ثقافة .

أما الفرق بين المجتمع والثقافة فيتجسد فيما يشير إليه مراد زعيمي" إذا اعتبرنا المجتمع بناء مكونا من مجموعة عناصر بنائية فإن الثقافة هي الرباط الذي يشد هذه العناصر بعضها ببعض، فالثقافة بالنسبة للمجتمع كالروح بالنسبة للجسد."(زعيمي، 2004، ص306)

أما أوزفالد فقد بين الفرق بين علم الثقافة والمجتمع." بأن هذا الأخير شديد الاتساع، طالما أنه يركز على التفاعل الاجتماعي، ومن ثم فهو يشتمل على كافة الظواهر التي تدخل ضمن فئة اجتماعي/ ثقافي، ومع ذلك يبدوا أن التركيز على التفاعل الاجتماعي، قد استبعد من مجال اهتمامه بعض الظواهر من الفلسفات والفنون، وبعض السمات الثقافية الأخرى مما يؤيد القول بأن مصطلحي الاجتماعي والثقافي ليسا مترادفين." (مريم، 2018، ص16)

وتجدر الإشارة إلى كون الثقافة وثيقة الصلة بالمجتمع حيث أنهما تكون سبا في تماسكه و تضامنه وتعاونه أو تكون سببا في تفككه وتباعده كما يتضح ذلك في دولة يغوسلافيا سابقا، فبسبب الاختلاف الثقافي في هذه الدولة، أدى ذلك إلى الصراع ونشوب الحروب مما أدى بدوره إلى انقسامها إلى عدة دويلات .

وصراع الأكراد في التركيا أيضا مثال ليس ببعيد، واضطهاد الإيغور في الصين، فجميع هذه الصراعات سببها اختلاف الثقافات في مجتمع واحد .

إلا أن الاختلاف الثقافي قد لا يؤدي بمثلا إلى الصراع كما هو موجود على سبيل المثال في الولايات المتحدة الأمريكية انصهروا ففكرة واحدة تجمعهم ألا وهي القومية الأمريكية .

كما أن الثقافة قد تكون سببا في تخلف المجتمعات أو سببا في تقدمها وتطورها .

وهذا ما حدث لذا العرب بعد مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا قوما متخلفين معظم قبائلهم تابعة لأمم أخرى القوي منهم يأكل حق الضعيف، يئذون البنات صغارا، يعبدون الأصنام، وبعد مجيء الإسلام صاروا سادة للعالم في حين من الدهر .

وهذا ما حدث في أوربا أيضا خلال القرون الوسطى أين سيطرت الكنيسة على عقول الناس وأموالهم واضطهدت مفكريهم وعلمائهم فقد كانوا يعيشون في تخلف كبير .

أما بعد انتشار فلسفة التنوير وأعلت من أفكار ومبادئ الحرية والمساواة والعدل وقدست العلم، تطورت هذه المجتمعات وصارت تتقدم على غيرها من المجتمعات الأخرى .

وخلاصة القول، يمكن أن نقول أنه لا وجود لمجتمع من غير ثقافة، ولا ثقافة من غير مجتمع، وأن المجتمع يتكون من بناء والثقافة هي روح هذا البناء. كما يمكن للثقافة أن تكون سببا في تماسكه وتضامنه وفي الوقت نفسه يمكن أن تكون سببا في تصارعه وتفككه وتخلفه.

ثامنا/ علاقة الشخصية بالثقافة:

إن الاتجاه النفسي يلخص العلاقة بين الفرد والثقافة كون "أن الثقافة – مثل الفرد– لديها نمط متناسق من الفكر والعمل. ولابد لفهم الثقافة أن نأخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلية والشعورية السائدة فيها والقيم و الأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع صاحب الثقافة موضوع البحث(وصفي، د.ت، ص58)

وأما حول مضمون اصطلاح (كل متكامل) أو (تناسق) فإن العالم الأمريكي (كلاك هون) يوضح هذان المصطلحين بقوله " أن الأنماط هي تعميمات تستخلص من حالات السلوك الفردي المتكرر أي هي تكرارات منتظمة لسلوك ظاهري ونصل إليها عن طريق الملاحظة، أما فيما يتعلق بالتناسق فهو تعميم لحالات شعورية وليس لسلوك خارج يتكرر حدوثها بانتظام بين أفراد المجتمع". (وصفي، د.ت، ص58)

وقد كان لهذه المدرسة دور كبير في إبراز أهمية دراسة الثقافة والشخصية حيث لا نستطيع فهم إحداهما دون الأخر .

وقد توالت بعدها عدة دراسات ونظريات بعد ذلك تولي أهمية كبيرة لعلاقة الفرد بالثقافة، من بين هذه النظريات الهامة التي اكتملت معالمها في تلك الفترة " النظرية التناسقية التكاملية" .

مهد لها العلامة الأمريكية سابير E. Sapir عندما اعترض على فكرة فصل الثقافة عن الأفراد الذين يصنعونها ولذلك نادى بضرورة اهتمام الانتروبولوجيا بالفرد وبأفكاره ومشاعره وعدم ترك هذا الموضوع لعلماء النفس وحدهم، أكد خاصية الرمزية لأن كل سلوك ثقافي وسلوك رمزي أي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع موضوع الدراسة(وصفي، د.ت، ص56).

وعلى هذا النحو نجد هذه النظرية قد جاءت بأفكار تدعم ضرورة عدم الفصل بين الفرد والثقافة عند أي دراسة عكس ما ذهب إليه سبنسر باعتبار أن للثقافة حقيقة موضوعية مستقلة عن شعور وعقول الأفراد وبناءا على ذلك فإن العلاقة بين الثقافة والشخصية الفردية والجماعية أكيدة وقوية، وهي علاقة تكاملية تبنى على أساس التأثير والتأثر، بحيث لا يمكن الجزم بأن الثقافة هي منتوج محض للشخصية كما لا يمكن اعتبار الشخصية بأنها منتوج مطلق للثقافة، ولكن لكل واحد منهما دورا تأثيريا في الآخر بمقادير متفاوتة".

(بن نعمان، 1996، ص87)

وسنحاول تحديد أبرز هذه العوامل المزدوجة كل على حدة فيما يلي :

1- تأثير الثقافة في الشخصية :

يمكن ان نلخص مدى تأثير الثقافة على الشخصية في أربعة محاور وهي كالتالي :

- التربية:

إذا لوحظ بعض الاختلاف بين علماء النفس، وعلماء الاجتماع والإنتربولوجيا في النظر إلى محددات الشخصية، ومكوناتها، فإن تأثير التربية في الشخصية يعتبر من الأمور المشفق حولها من الطرفين، وهو ما يؤكد الدور الأساسي الذي تؤديه التربية في تكوين الشخصية، ومن ذلك ما أورده أحد أقطاب علم النفس الفردي واطسون صاحب المدرسة السلوكية الذي يرى أن طبيعة الطفل تتسم بقدر من المرونة وقابلية التشكل في أية صورة يريدها أفراد الجماعة(وصفي، 1977، ص115).

كما نجد في الوقت ذاته رالف لينتون الذي يعتبر من الأنتربولوجيين البارزين الذين اهتموا بدور التربية في تكوين الشخصية، يرى أن الأطفال الذين ولدوا في مجتمع معين يربون تقريبا بنفس الكيفية من جيل إلى جيل والأهمية الحقيقية للنماذج التي تتحكم في تكوين الأطفال تكمن في تأثيرها على المستويات العميقة لشخصية الأفراد الذين تمت تربيتهم حسب هذه النماذج(بن نعمان، 1996، ص88).

وقد أكدت الدراسات المقارنة أن السمات التي يتميز بها الأطفال الأوربيون يرجع بالأصل إلى طريق تربيتهم .

التعليم:

إذا كانت التربية تقتصر على مرحلة الطفولة وتتم بصورة قسرية على الأطفال في السنوات المبكرة. فإن التعليم على العكس من ذلك .

حيث يمتد مع امتداد عمر الفرد، (أو من المفروض أن يكون كذلك) كما أن التعليم يتم بكيفية إرادية غير مفروضة على الفرد في غالب الأحيان، فهو يتشرب الثقافة، ويتبنى القيم ويكتسب الخبرات المختلفة التي توجه سلوكه بحسب مقتضيات الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع(بن نعمان، 1996، ص89).

ويرتبط قيام النظم الاجتماعية وتطورها بوجود حاجات اجتماعية وتطور هذه الحاجات، ويفسر قيام النظام عادة بربطه بهذه الحاجات.

وبهذا يمكن القول إن النظام التعليمي يقوم بالوظائف التالية (عثمان، 2006، ص253) :

1 -نقل وحفظ الثقافة .

2 -تأهيل الأفراد للقيام بالأدوار حسب ما تحتاج هذه من معرفة ومهارات وأخلاقيات .

3 -تنمية المعرفة والمهارات وتطويرها بما يتناسب مع التطلعات والتحديات المستجدة، وإكساب الأفراد القدرة على هذا .

4 -اكتساب الإنسان لمصادر الرزق، والحراك الاجتماعي .

5 –استخدام المستوى التعليمي كمؤشر للتباين الاجتماعي .

6 –تحرير المرأة من بعض دورها في رعاية الأطفال وإتاحة الفرصة لها للتعليم والعمل .

" وخلاصة القول فإن الثقافة هي المسؤولة عن الشكل الرئيسي للشخصية في أي مجتمع وباختلاف الثقافات تختلف أشكال الشخصية. والمقصود بشكل الشخصية هي مجموعة السمات الأكثر تكرارا بين أفراد المجتمع الواحد". (بن نعمان، 1996، ص89)

ويؤدي التعلم دورا كبيرا في عملية اكتساب الأفراد لهذه السمات العامة التي تشكل الشخصية الأساسية

التغير الثقافي:

" هو كل تغير يطرأ على العناصر الثقافية ويتسبب بتأثيرات على المجتمع والنظام الاجتماعي معا... أي بمعنى آخر المقصود بالتغير الثقافي كل المتغيرات التي تحدث في كل عنصر من عناصر الثقافة مادية كانت أم غير مادية بما ذلك الفن والتكنولوجيا والفلسفة والأدب والعلم واللغة والأذواق الخاصة بالمأكل والمشرب أو وسائل المواصلات والنقل والصناعة". (بن غضبان، 2015، ص190)

ويتميز التغير الثقافي بعدة خصائص تميزه عن غيره من التغيرات خاصة التغير الاجتماعي الذي يدنو منه إلى درجة يصعب الفصل فيما بينهما، ويمكن أن نحدد خصائص التغير الثقافي كما يلي (غضبان، 2015، ص193)

– يحدث التغير الثقافي في ثقافة مجتمع معين، ولا يعتبر ظاهرة منعزلة أو قائمة بذاتها وإنما هو عملية عامة وشاملة في كل مجتمع وكل ثقافة مهما اتسمت بالثبات أو الجمود .

– مفهوم التغير في حد ذاته محايد، لأن التغيرات التي تتم في الثقافة يمكن أن تتخذ اتجاها إيجابيا، كما قد تنمو نموا سلبيا، فقد تقود إلى النمو والازدهار، كما قد تدفع نحو الانحطاط والانهيار .

– احتمالات التغير موجودة دائما ومرافقة لكل مراحل التنظيم الاجتماعي، فهو طبيعة كامنة في جوهر الإنسان وجزء منه تركيبته النفسية، وهو من الضروريات الاجتماعية .

– رغم أن التغير ظاهرة حتمية إلا أن اتجاهها هو عملية انتقائية فأفراد المجتمع يقررون تقبل التغيرات أو رفضها خاصة إذا كانت خارجية .

وترى الأنتربولوجية الأمريكية مارغريت ميد في هذا الخصوص. أن من أهم عوامل تغير الشخصية العامة للمجتمع هو التغير الثقافي، " وتتضح تغيرات الشخصية عبر الأجيال، حيث إن اختلاف سمات شخصيات الأباء عن شخصيات الأبناء من الظواهر النفسية التي تميز بوضوع عملية التغير الثقافي، وكل عضو في كل جيل من الأجيال يساهم بقدر معين في عملية هذا التغير الثقافي الذي يصطدم مع الشخصية العامة للمجتمع غالبا ما يكون مآله الفشل". (بن نعمان، 1996، ص90)

الصدمة الثقافية: الصدمة الثقافية " وتحدث عادة عند تعرض المجتمع لظروف صعبة إثر تعرض لكارثة من الكوارث، كالزلازل أو الحروب المدمرة، حيث يعقب ذلك نوع من الفقدان الثقافي نتيجة تغير البنيات الأساسية للمجتمع، فيفاجأ الأفراد بوجودهم أمام نسق ثقافي مضطرب"(بن نعمان، 1996، ص90).

ومع ذلك يحاول هذا المجتمع التشبث بالقيم الأصلية التي ورثها عن الأجداد ويحمي نفسه من الثقافة الدخيلة، وهذا ما لوحظ حول الشعب الجزائري عندما صارع من أجل المحافظة على لغته ودينه وقيمه أمام محاولات الطمس والمسخ للثقافة الأصلية المتجدرة في الشعب الجزائري من قبل المستعمر الفرنسي .

أما الصدمة الثقافية حسب نظرية كالرفو أوبرج K.Oberj فهي تعبر عن " الحالة النفسية والمزاجية التي تصيب المهاجر الذي ينتقل إلى سياق مختلف عما ألفه من قبل، وتعتبرها شكلا من أشكال المرض العقلي الذي لا يشعر به الفرد، ينتج عن ما يعانيه المهاجر من قلق وتوتر ينجم عن فقدان للرموز المألوفة للتفاعل الاجتماعي. أو فقدان ما ألفه من موجهات السلوك في المواقف الاجتماعية". (السيد، 2004، ص355)

وإذا كان أوبيرغ قد قصر حديثه على الذين ينتقلون ضمن التغير الوظيفي، " إلا أنه يمكن تعميم التجربة على المهاجرين إلى ثقافات غريبة. يمر الإنسان خلال هذه التجربة بمراحل تمتد من الشعور بالأزمة إلى التكيف أخيرا مع الوضع الجديد، هذا علما أن البعض قد لا ينجح في التكيف مع هذه الأوضاع الجديدة. إن

معرفة الشخص سلفا بالصدمة الثقافية، نتيجة الانتقال، تساعد في تسريع تكييفه". (عثمان، 2006، ص174). وبهذا الشكل فإن الصدمة الثقافية على حد تعبير أو برج تمر بدورة من أربعة مراحل كما يشير إليها (السيد، 2004، ص356) :

أ. **مرحلة ظهور أعراض المرض:** وتجسد مشاعر الانبهار والاستحسان لخبرات الموقف الجديد، فيها يعيش الفرد حياة أحسن أو أفضل من حياته السابقة. وقد تستغرق هذه المرحلة أياما قليلة، وقد تمتد لشهور عدية وذلك وفقا لطبيعة المواقف الجديدة وسابق خبرته بها .

ب. **مرحلة الأزمة:** وتجسد مشاعر التمرد على الأوضاع الجديدة ليصبح كل شيء في نظر المهاجر خطأ وفاسدا ومتعبا أو مرهقا للأعصاب، ينتقد فيها مجريات الحياة من حوله ليصبح شاكيا باكيا متبرما من كل شيء خانق على الجميع، يردد عبارات تعكس شاعره حتى في خطاباته لذويه في الموطن الأصلي مثل "شعب غبي" "ثلة لصوص"، لا أمل في إصلاح هذا البلد...إلخ. ويصل الأمر إلى حد التطرف في الوسوسة والاهتمام بمياه الشرب أو الغذاء والخوف من الاتصال الفيزيقي بالآخرين خشية العدوى بأمراضهم... الخ.

ج. **مرحلة الشفاء:** وفيها يبدأ المهاجر في فهم مجريات الأمور من حوله، وفي تقبل بعض المواقف التي كان يرفضها من قبل، أي يبدأ في تقبل بعض عناصر الثقافة الجديدة ومسايرتها لتسيير حياته في اتجاه عادي مثل غيره من أفراد المجتمع. ومن ثم يستعيد روح المرح والدعابة والأقبال على الحياة حتى أنه يتغلب علي، بل يستخف من ما كان يشكو منه من أزمات أو صعوبات العيش، بل يبدأ الحديث عن مجتمع الهجر الجديد بنغمة تغلب عليها الرضا أو حتى الاعتزاز .

د. **مرحلة التكيف:** وهي مرحلة الشفاء، أو مرحلة تحقيق التوافق والتكيف، فيها تفتر ثورة المهاجر على المجتمع الجديد وثقافته وشعبه، وبالتالي يتخلص من قلقه وتوتره، بل قد تمر به الأيام لتولد لديه مشاعر الابتهاج والتفاخر بتجربته هذه، حتى يصل إلى مرحلة يصبح فيها يقظا بل متبرما بمواطن

الضعف ومصاعب الحياة والعيش في مجتمعه وثقافته الأصلية، تلك المصاعب التي لم يكن ليدركها قبل أن يمر بتجربة الهجرة وقد يصل به تبرمه الجديد بمجتمعه وثقافته الأصلية إلى الحد الذي يقرر الفرار إلى الثقافة الجديدة تماما أو اللاعودة إلى الثقافة الأصلية .

وبطبيعة الحال تتفاوت مراحل الصدمة الثقافية من حيث الفترة الزمنية التي تستغرقها كل مرحلة، ومن حيث ما تتركه من آثار نفسية واجتماعية .

ومن خلال تطرقنا إل الحالات السابقة تتبين عوامل التأثير الواضحة للثقافة في الشخصية على أن هذا التأثير. كما أسلفنا، لا يحدث من جانب الثقافة وحدها. وإنما يحدث من كلا جانبين وذلك ما سنحاول متابعة تبيانه في الشواهد التالية:

2- تأثير الشخصية في الثقافة:

إن الاعتقاد بأن تشكيل شخصية الأفراد في المجتمع هي تحصيل حاصل للأنماط الثقافية السائدة في المجتمع . والتي تكون بمثابة قالب تصقل بها شخصية الأفراد على مدى مراحل حياتهم . " لا يعني – مطلقا – أن هذا الفرد آلة صماء تتأثر ولا تؤثر، وتأخذ ولا تعطي، وتتغير ولا تغير... إنما هي أمور نسبية، وتظل الكلمة النهائية للإنسان ما ظل هذا الإنسان متميزا عن بقية المخلوقات بالحرية والإرادة والذكاء والقدرة على الخلق والإبداع حيث أنه يحكم هذا التمييز الواضح من جهة وبحكم الفروق الفردية والمواهب والقدرات الثابتة علميا. (بن نعمان، 1996، ص91)

بين الأفراد في المجتمع الواحد من جهة أخرى على الرغم من خضوع هؤلاء الأفراد إلى نظام تربوي وقيم ومعايير موحدة خاصة في المجتمعات الصغيرة قد بات مؤكدا بحكم الأحداث التاريخية أنهم بإمكانهم التغيير والتجديد وتشكيل ثقافة جديدة تختلف تماما عن الثقافة السالفة .

ويظهر تأثير الأفراد في ثقافة مجتمعاتهم خاصة في الحالات التالية (بن نعمان، 1996، ص92) :

1/- النزوع الفطري في الكائن الإنساني نحو الحياة العضلي جعله دائم السعي والطموح، لتحقيق هذه الغاية (النسبية) التي لا تعرف الحدود، ويتمثل ذلك في حالتين بارزتين:

أ)- الاختراع الدائم للوسائل المادية والتكنولوجية وما يتبع تلك الاختراعات الضخمة من تأثير على البنيات الثقافية السائدة. ويظهر ذلك بوضوح في التغير الثقافي الذي حصل

- مثلا – بعد اكتشاف الطاقة واختراع الكهرباء، أو الطباعة أو السيارة أو الطائرة أو التلفيزيون أو الذرة أو الإعلام الآلي وما ذلك من الاختراعات الكبري التي كان لها أثر ملموس على الأنماط الثقافية السائدة في البلدان المتقدمة المستفيدة بهذه الاختراعات .

ب)- وضع بعض النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من طرف أفراد موهوبين كالفلاسفة والعلماء والمفكرين... والتي وجدت طريقها على التطبيق – طوعا أو كرها –

بواسطة قادة عسكريين أو زعماء سياسيين، فأصبحت هذه النظريات مع مرور الأيام عقائد سائدة في مجتمعات قلبت النظم الاجتماعية السائدة فيها رأسا على عقب كما وقع مثلا في روسيا أو الصين بعد تطبيق النظرية الماركسية .

2/- النزعات الإحيائية والحركات التجديدية والسلفية التي يازعمها بعض المصلحين الدينيين والاجتماعيين، وكذلك التوارث التي يفجرها أفراد قلائل ثم سرعان ما تعم فتحدث تغييرا جذريا في الأنساق الثقافية السائدة. ومن أمثلة ذلك حركة الإصلاح الديني التي قام جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في المشرق (بقطع النظر عن فعاليتها) وكذلك حركة الإصلاح الديني الاجتماعي السياسي التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة الإمام عبد الحميدبن باديس في المغرب العربي، والتي كان لها دور فعال في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية والتمهيد المعنوي لتفجير الثورة الشعبية الكبرى التي حققت الاستقلال الوطني سنة 1962 .

وتوجد أمثلة أخرى لمثل هذه الحالات في العالم كالثورة الفرنسية في القرن الماضي والثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني في هذا القرن. وقد كانت كلها في الأصل عبارة عن مجموعة أفكار تفتقت عنها عبقرية أصحابها وظلت تختصر في أذهان أفراد محدودين من ذوي الشخصيات القوية، والمواهب والقدرات العقلية العالية ...

وهكذا نتبين أن للشخصية دورها الواضح في التأثير على الثقافة بكيفية مباشرة أو غير مباشرة .

تاسعا/ ثلاثية الثقافة والشخصية والمجتمع:

هناك العديد من المدارس الاجتماعية والسيكولوجية والأنتربولوجية التي حاولت أن تبرز مدى ارتباط الثقافة بالشخصية. إلا أنه لو دققنا وأمعنا في هذه المدارس، نجد أبرزها وأكثرها تحليلا لمدى علاقة الثقافة بالشخصية، لوجدنا المدرسة التي عرفت باسم مدرسة الثقافة والشخصية التي يمثلها روث بنيدكت R.Benidict ورالف لينتون R.Linton ومارجريت ميد M. Mead وأتباعهم، من أبرز المدارس وأشهرها في هذا الميدان، حيث كانت اهتماماتهم تصب في دراسة الثقافات البدائية. معتمدين في ذلك على المنهج المقارن وتميز مدخلهم في الدراسة بالجمع ما بين الأساليب الأنتربولوجية والسيكولوجية في البحث (الملاحظة بالمشاركة والمقابلات الشخصية والاستخبار والاختبارات النفسية) .

كما يدل عليه كتاب مارجريت ميد بعنوان "التنشئة في غينيا الجديدة" حيث تبلورت عند مارجريت ميد فكرة عامة مفادها " تمد الثقافة الفرد بالمادة الخام التي يصنع من خلالها حياته. وأكثر من ذلك تتميز الثقافة مثل السنفونية بنغمة سائدة معبرة عنها بصورة رمزية أو بتصور مجرد وتشكل وحدتها وهويتها ونموذج شخصيتها الخاص." (جلبي، 2016، ص251)

ونجد مثال توضيحي للدراسة المشار إليها سلفا، حيث استخدمت بندك تميد مصطلحات الملائكي Apollimian والشهواني Doinysisn للتمييز بين شعوب الدوني Zuni وكواكيتل Kwakwatol من حيث الثقافة ونموذج الشخصية .

فوصفت شعب الذوني بأنه ملائكي لأنها جمعت مجموعة من الملاحظات جعلتها تخلص إلى هذه النتيجة لأن الشعب الذوني " كانوا يواجهون حالات التطرف والعنف الانفعالي بالهدوء، كما كانوا في كل ما يفعلون ويفكرون ويشعرون ويختارون الطريق الوسط والأمان. طبقا لمثل الذوني، يخوض المرء في نشاطات جماعته ولا يدعي لنفسه تسلطا شخصيا، ولهذا فهو لا يقدم على العنف أبدا." (جلبي، 2016، ص251)

أما (الكوا كوتيل) في جزيرة (فانك وفر) وهم مجموعة المجتمعات المحلية القليلة التي تعيش على طريقة آكلي اللحوم البشرية " فهم شهوانيين على عكس الذونيين فكانوا يناضلون من أجل النشوة وبلوغ حد الجنون المقدس في دينهم، ويرقصون بوحشية إلى درجة لا يستطيعون فيها السيطرة على أنفسهم، بل يصلوا إلى حد ترتجف فيه عضلاتهم بطريقة تجعل (الكوا كتيل) في خبل مؤقت، وهم يميلون إلى الفردية، وعدم الامتثال، ومغرمين بشدة بالملكية الشخصية ويدخلون دائما في مباريات عنيفة وعداوات." (جلبي، 2016، ص251)

وهذا ما جعل بندك تميد تستخلص نتيجة مؤداها، أن الثقافة والشخصية عبارة عن جانبين اثنين لنفس الحقيقة الواحدة .

وهكذا، يتمثل إسهامها الأساس في البرهنة على أنه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، أو تمثل الثقافة هي انسب عبارة في هذا السياق، ينتج كل مجتمع نموذج متميز من الشخصية ونعني نموذج من التنظيم العقلي المتوافق والذي يستطيع التكيف مع متطلباته الوظيفية والبنائية(جلبي، 2016، ص 252).

وعلى هذا النحو فإن الثقافة لها تأثيرا كبيرا في تحديد نمط شخصية الفرد، كما تسهم في تحديد سلوكياته وانطباعاته ومزاجه ومواقفه واتجاهاته .

وهذا ما يجعل لينتوون Linton يرى أن للثقافة " أثرها الكبير على الكثير من أنماط السلوك التي تصدر عن الإنسان، وما يعتقده من معتقدات، وما يكتسبه، بالإضافة إلى ما يكتسبه من أنماط التفكير وكلها أمور تساعد الإنسان على حسن التوافق مع أفراد مجتمعه الذين ينتمون إلى مثل هذا النمط الثقافي. ولذلك كان من الضروري للإنسان أن يكتسب كثيرا من العوامل الثقافية التي يتميز بها المجتمع." (مريم، 2018، ص47)

فالمجتمع عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة ودور العبادة وغيرها يساهم في غرس المنطلقات الفكرية والتصورات العامة لشخصية الفرد حول ذاته والعالم الذي يحيط به وعلاقته بالآخر والطبيعة وبالوجود ككل .

ولذلك " فالتفاعل بين ما هو اجتماعي وثقافي هو الذي يشكل شخصية الفرد، ويبدو عدم إمكان الفصل بين ما هو فردي أو اجتماعي أو ثقافي، من أن النمو الذي يتم للعقل الفردي يصاحب النمو في البناء الاجتماعي، والاتصال الوثيق بين بناء الأنا الفردية وبين بناء الجماعات التي ينتمي إليها الفرد، ويبدو عدم إمكان الفصل بين وجود هذه الحقيقة المثلثة الأطراف." (مريم، 2018، ص47)

كما يؤكد سروكن أن مثل هذا القول أكدته الدراسات المتعددة التي أجريت في ميادين علم النفس الطفل والتحليل النفسي وعلم الجريمة .

ونظرا لأهمية هذه الدراسات، فسوف يتم عرض النقاط المتصلة بالشخصية كما يشير إلى ذلك مريم (2018):

- يستحيل النمو العقلي للإنسان العاقل بدون التفاعل الاجتماعي .
- لا يمكن أن تتراكم الخبرات أو الثقافة من غير تفاعل الأجيال مع بعضها مع الآخر، وهذا يؤكد أن التفكير والقيم الثقافية لا تنقل عن طريق الوراثة .
- لا يمكن التمييز بين الصواب والخطأ والحقيقة والمغالطة، والعادي والشاذ من غير الخبرة الجمعية .
- لا يمكن أن تنمو الحياة العقلية الواعية من غير المؤثرات المستمرة لعالم ثقافي اجتماعي دائم التغير، لأن الإنسان إذا لم يعيش في مثل هذا العالم الذي يحمل خصائص التغير والتراكم، فإن هذا الإنسان ربما وقفت خبراته وجمدت .
- إن تطور القدرات مثل الذاكرة، التحليل، والتصميم والتركيب، يصبح مستحيلا من غير إطار واضح للتفاعل، ويعتقد سوروكين أن ظهور قدرة الإنسان على التحليل كانت مصاحبة لنمو التفاضل الاجتماعي .

– لم تكن للغة أن تنبثق من غير التفاعل، ويلاحظ سوروكين أن العمليات الاضطرابية اللغوية مرتبطة أشد الارتباط، كما يقول جراسيري بالتغير الاجتماعي .

وخلاصة القول أن سوروكين يرى أن الشخصية الإنسانية تتوقف من حيث النمو والتغير أو حتى الانحلال على النواحي المختلفة والمتعددة للحقيقة الاجتماعية الثقافية، إذن فالشخصية عند سوروكين، هي حقيقة اجتماعية ثقافية، تكون من المجتمع والثقافة، كلا واحدا هو العالم الثقافي(مريم، 2018، ص48).

المحاضرة الرابعة الثقافة بين الحضارة و تعدد الثقافات

- الحضارة

- نظريات الحضارة

- نظرية نهاية التاريخ (نهاية حرب الثقافات)

- نظرية صدام الثقافات

- نظرية الحوار بين الثقافات

تمهيد:

اختلفت التعاريف التي حاولت أن تحدد مفهوم الحضارة، في محاولة منها لتحديده من جهة و لفض اللبس فيما يجمع و يفرق في الآن نفسه بينها و بين مفهوم الثقافة من جهة اخرى، و من اجل ذلك سنسعى الى إلى محاولة التعرف على معناها و توضيح الفرق بين هذين المفهومين، الى جانب التطرق الى واقع التعدد الثقافي الذي يشهده العالم و أهم النظريات التي حاولت ان تفسر مستقبل المجتمعات أمام هذا التنوع الثقافي.

أولا/ مفهوم الحضارة:

هناك كثير من التعاريف التي حاولت أن تحدد مفهوم الحضارة والتي من خلالها نبرز علاقتها بالثقافة، ومن هذه التعاريف نذكر ما يلي:

استعمل بن خلدون الحضارة في مقابل البداوة، مشيرا بذلك إلى نمط من الحياة الاجتماعية تتوفر فيه أسباب الرفاهية والدعة بل والشرف. وهذا المستوى المتقدم من الحياة الاجتماعية، والذي يعبر عنه بالعمران البشري، بل يدل عليه التفنن في الصنائع والمباني، وكذلك الاستقرار والتوطن مقابل البساطة في العيش والترحال الذي يعرفه أهل البداوة (زعيمي،2006، ص248).

يستعمل بعض المؤلفين مصطلح الحضارة كمرادف للثقافة، ولفظ الحضارة مستعمل في اللغة الألمانية، للتعبير عن الوجه المادي للثقافة (الجانب المادي للثقافة).وتحت تأثير اللغة الألمانية، صار البعض يستعملها بهذا المعنى أي للتعبير عن الجانب المادي للثقافة (البصير، 2010، ص208) .

علماء الاجتماع المعاصرين يميزون بين المصطلحين، وذلك باستخدام اصطلاح حضارة لكي يشير إلى مجموعة من الثقافات الخاصة التي تتلاقى عند أصول مشتركة، فنتحدث بهذا المعنى عن الحضارة الغربية، التي تنضوي تحتها الثقافة الفرنسية والإنجليزية... ونتحدث عن الحضارة الإسلامية لتنطوي تحتها الثقافة العربية، الفارسية وغيرها(حامد، 2008، ص 58).

الحضارة هي عمارة الإنسان للأرض وترقية الحياة على ظهرها باستخدام قواه العقلية والجسدية وما يكتشفه من وسائل مادية وطرق عمل تساعده في ذلك(زعيمي، 2004، ص 249)

وتشير الحضارة بهذا المعنى كما يضيف إلى ذلك مراد زعيمي (2004) إلى:

أ- تأثير العقل الإنساني على الطبيعة على العالم الخارجي

ب- أن الحضارة ظاهرة اجتماعية عقلية تحتل مكانها في الوجود الاجتماعي، وتعبر عن نفسها عن طريق الناتج المادي خاصة، للعمل الإنساني

ج- أن الحضارة عامة وشائعة لا تظهر فيها مميزات المجتمع

د- أن الحضارة سمة إنسانية ذات طبيعة محسوسة أساسها العلم التجريبي والبحث العلمي

هـ- أن الحضارة تشمل الطرق والوسائل التي يعتمدها المجتمع لتلبية حاجات الافراد والجماعات وخاصة نظم التنشئة الاجتماعية والضبط والإنتاج والعمل

من التعاريف السابقة نستنتج أن مفهوم الحضارة ظهر في صيغ عديدة، نها ما يعتبر أن الحضارة هي مرادفة للثقافة كما يشير الألماني نايدرمان إلى أن لفظة الحضارة لم تستعمل في أوروبا إلا نادرا قبل القرنين (14- 15) ميلادي، زمن عصر النهضة الأوروبي ولم يكن استعمالها آنذاك إلا كلفظة مرادفة للفظة الثقافة خاصة في المصطلحات والتعبيرات المتعلقة بالعلوم(عيد، 2007، ص 14)

وهناك مدلول أخر لمفهوم الحضارة كون أن الحضارة تقابل البربرية والهمجية إلى جانب فريق آخر يميز بين الحضارة والثقافة، ويجعل لفظة الحضارة تعبر عن الجانب المادي للشعوب أي الصنائع والأدوات والبناءات والسدود والجسور...الخ

أما الثقافة فهي تدل على الجانب المعنوي الذي يعبر عن الأفكار والتصورات والديانات والطقوس والشعائر والأعراف والفلكلور والنظم الاجتماعية والمكانة الاجتماعية... الخ

وعن أسباب هذا اللبس في الاستعمال بين الثقافة والحضارة يضيف احمد كمال كما يشير احمد بن نعمان 1991 ويبدو أن السبب في هذه التفرقة يرجع إلى اللبس والغموض اللغوي، فكلمة ثقافة تستعمل استعمالا دارجا للتعبير عن الدراسات الأدبية والنظرية والعقلية والفلسفية، أي أنها تنطوي على كل الأمور المعنوية والروحية، وكلمة حضارة تستعمل بصفة عامة للدلالة على الوسائل التي بفضلها وصلت الإنسانية إلى التحضر، فالتنظيمات الاجتماعية والأجهزة ووسائل الكشف العلمي والمخترعات وما إليها من الأمور التي ابتدعها الإنسان وفي ارتقائه مدارج الحضارة كلها مظاهر حضارية، ولذلك ارتبطت الثقافة بالناحية المعنوية والروحية، وارتبطت الحضارة بالمسائل المادية التي أدت إلى الاستقرار والرفاهية العامة .

ثانيا/ نظريات الحضارة:

نقصد بنظريات الحضارة تلك الرؤى والتصورات حول مستقبل المجتمعات في ظل الثقافات المتعددة والمختلفة، وما هي أهم الرؤى الاستشرافية التي تتنبأ بمستقبل العالم، وذلك انطلاقا من تساؤلات رئيسية أهمها:

– هل التعدد الثقافي يؤدي إلى الصراع بين مختلف الشعوب وهذا ما نطلق عليه بصراع الحضارات، أما هذا الاختلاف يؤدي بالمجتمعات إلى الحوار وتقبل الآخر والتالف والتعاون

– أم أن العالم حاليا يشهد نهاية التاريخ أي نهاية الحروب التي أساسها التنوع الثقافي، وذلك بسبب انهيار الاتحاد السوفياتي وانتصار النظام الليبرالي وتفصيل ذلك كما يلي:

1- نظرية نهاية التاريخ (نهاية حرب الثقافات):

صاحب هذه الأطروحة وهي أطروحة (نهاية التاريخ) هو المفكر الأمريكي المعاصر فوكوياما ومعروف أن كتابات هذا الأخير تنتظم بصفة عامة حول فكرة محورية يبدو أنها تستلهم كثيرا من العالم الألماني، ففي نظره إن الثقافة الغربية بمكوناتها الرئيسية من عقلانية وليبرالية وديمقراطية ومنظومة حقوق الإنسان، ليست فريدة من نوعها ولا متفوقة على سائر الثقافات البشرية الأخرى فحسب، بل إنها لتعتبر كذلك غاية التاريخ البشري ونهايته(الدواي، 2013، ص 60)

وقد استخلص هذا المفكر أطروحته بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ونظامه الشيوعي وتفوق العالم الليبيرالي، وهذا يعني أن انهيار الاتحاد السوفييتي لا يمثل انهيار دولة فحسب، بل يعني انهيار منظومة القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمثلها، وأن بقاء العالم الغربي قائما سائدا متفوقا معناه انتصارا لثقافته وما تحمله من قيم ليبيرالية، وبهذا الشكل وبسبب الانهيار الشيوعي وانتصار النظام الليبرالي يكون العالم قد وصل إلى منتهاه وذلك بانتهاء حرب الثقافات عموما على العالم الغربي إلا تسير مبادئه وقيمه على سائر الشعوب من اجل الوصول إلى ركب الحضارة وبهذا الشكل "أعلن المفكر الأمريكي فكرته بأن من المحتمل جدا ألا يكون ما نشهده اليوم مجرد نهاية للحرب الباردة أو لمرحلة ما بعد الحرب، بل هو نهاية للتاريخ ذاته، بمعنى أن تطور البشرية الأيديولوجي ادرك ذروته التي تتمثل في عولمة الديمقراطية الليبرالية الغربية، باعتبارها الشكل الراقي النهائي لأنظمة الحكم الإنساني(الداوي، 2013، ص 62)

وحسب رأي فوكوياما فإن العالم الغربي قد شهد خلال القرن العشرين الذي ولى تحولات كبرى بفعل الحروب والصراعات الأيديولوجية بين الأنظمة الليبرالية والديمقراطية من جهة والنظم الشيوعية والفاشية والديكتاتورية من جهة أخرى، وقد دامت هذه الحرب الباردة زهاء نصف قرن كامل ورغم امتلاك الدول الشيوعية للتكنولوجية والتصنيع والأسلحة المدمرة إلا أن ذلك لم يمنعها من الانهيار والتفكك وبناء على ذلك فإن نهاية هذا الصراع لا يعني نهاية صراع لحقبة ماضية بل يعني نهاية الفكر الأيديولوجي والأفكار الكبرى بصفة عامة

والجدير بالإشارة أن أفكار فوكوياما لم نأتي من فراغ بل هي امتداد للعالم والمفكر الألماني هيجل (1770-1831) الذي تعرض لمثل هذه الأفكار عند تطرقه لفلسفة التاريخ والذي اعتبره يقوم على أساس التطور الروحي والفكري، وإبراز عنصر الصراع لاعتباره محركا رئيسيا لهذا التطور، وقد رأى أن انتصارات القائد الفرنسي نابليون بونابرت في معاركه الأوروبية وخاصة معركة فيينا في النمسا عام 1806 أمارات دالة على النصر النهائي للأفكار والمبادئ التي أتت بها الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789، ففي نظره تحددت مبادئ هذه الثورة واتضحت اكثر

كما تحققت على ارض الواقع الملموس... وقرأ فيلسوفنا في ذلك علامات على أن التاريخ البشري أدرك غايته ونهايته، ومن هنا مبادرته إلى التبشير بنهاية الصراع، وبمستقبل زاهر للبشرية (الداوي، 2013، ص 61)

2- نظرية صدام الثقافات:

إن الفضل في اطلاق مقولة "صدام الحضارات" في الفضاء الدولي العام وطرحها للنقاش أول مرة، لا يعود إلى هنتنغتون كما هو شائع، رغم كون هذا الأخير هو من ترتبط حاليا باسمه، بل يعود ذلك بالأحرى إلى مؤرخ ومستشرق إنكليزي أميركي يدعى برنارد لويس (1916-) (الداوي، 2013، ص 71).

حيث يعد برنارد من الرواد الأوائل الذين اطلقوا أطروحة "صدام الحضارات وصراع الثقافات" في الفكر الغربي المعاصر وذلك نظرا للكره الشديد الذي لاحظه من قبل العرب اتجاه الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص وقد تبلورت أفكاره بشكل جلي غداة تأميم قناة السويس، من جانب جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية سابقا، وهي الأزمة التي أدت إلى شن عدوان ثلاثي على مصر في 29 سبتمبر 1956 شاركت فيه إسرائيل وفرنسا وإنجلترا، واعتبر هذه الحرب ليست عبارة عن حرب بين الدول بل هو بالأحرى صدام بين الحضارات

وعلى هذا الأساس يذكر لويس في كتابه الذي صدر في أبريل 2005 تحت عنوان (في الإسلام) أنه كان أول من أطلق فكرة صدام الحضارات عام 1957

ورغم ما كتبه لويس عن أطروحته "صدام الحضارات" لم تلقى الصدى الكبير الذي لقيه هنتنغتون، وصارت نظرية "صدام الحضارات" تنسب إلى هذا الأخير فهو الذي جددها وأخرجها في حلة سياسية جديدة ومثيرة وترتكز هذه النظرية على أفكار رئيسية مفادها أن التنافس والصراع في عالم اليوم لن يكون أيديولوجيا ولا اقتصاديا، بل سيكون في المقام الأول حضاريا وثقافيا، الأمر الذي يعني أن ثقافات بشرية كبرى معينة ستقوم بدور الفاعل الرئيسي في الصراعات العالمية المقبلة

وقد قسم هنتغتون العالم ليس حسب المعطيات الجغرافية أو السياسية أو الاقتصادية كما هو مألوف بل انطلاقا من العوامل الثقافية والدينية

وبناء على ذلك قسم العالم إلى ثمانية كيانات ثقافية كبرى يستمد كل كيان ثقافة من قيم وديانات مختلفة وهي كالتالي كما يذكرها عبد الرزاق الدواي (2013):

هناك الحضارة الصينية التي تستند إلى الديانة الكونفوشوسية، والحضارة اليابانية التي تستند إلى ديانة الشنتو، وهي ديانة يابانية قومية تقوم على مبادئ تقديس السلف والقوى الطبيعية، وهناك الحضارة الهندية التي تستند إلى الديانة الهندوسية، والحضارة الإسلامية التي تستند إلى الإسلام، والحضارة الغربية بفرعيها الأوروبي والأميركي، التي تستند إلى الديانتين اليهودية والمسيحية الأرثوذكسية، وحضارة أميركا اللاتينية التي تستند إلى المسيحية الكاثوليكية، والحضارة الإفريقية التي تستند إلى الديانات المحلية التقليدية وهذه الحضارات في عالم اليوم في حالة توتر مستمر، يمكن مماثلتها بالتوتر الذي كان سائدا في حقبة الحرب الباردة

وكي يحصن أطروحته أشار إلى أن الغرب تغلب على العالم ليس من خلال تفوقه في الأفكار والقيم أو الديانة، ولكن بسبب تفوقه في تطبيق العنف المنظم، الغربيون غالبا ينسون هذه الحقيقة. أما غير الغربيين فلا، فالغرب نتيجة هذا سيطر على 14 بالمائة من الأرض في هذا الكوكب عن طريق الاستعمار عام 1914 بسبب تفوقه في العنف المنظم"(عماد، 2006، ص 253).

ورغم حقيقة هذا الأمر أنه الغرب قد تفوق على بقية بلدان العالم بسبب تطبيقه العنف المنظم كما يذكر هنتنغتون إلا أن سرعان هذا الأخير ما يتدارك فكرته الموضوعية حين يتحدث عن مجموعة الخصائص التي تميز "تفرد" الغرب عن بقية الحضارات ومنها ميراثه الكلاسيكي المتعدد –الفلسفة اليونانية والعقلانية والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية ومنها حركة الإصلاح الديني وانقسام العالم الغربي الأوروبي إلى شمال بروتستاني وجنوب كاثوليكي.

وبين كل تلك الحضارات التي ذكرها هنتغتون فهو يركز على العلاقة المتوترة بين العالم العربي السلامي والعالم الغربي، وهذا راجع لطابع الكراهية التي يكنها المسلمون للغرب كما يعتقد، وهذا الأمر لا يراه متجسدا لدى الغرب، بل يرى ذلك بسبب نزعة المسلمين للعنف فيما بينهم وع غيرهم متوسلا بعض التبريرات كما يشير في ذلك عبد الغني عماد (2006) كما يلي:

– إن الإسلام كان منذ البداية دين السيف، فهو يثمن القيم والفضائل العسكرية، ويطرح الحرب ضد الكفرة، ومفهوم اللا عنف غائب عن العقيدة والممارسة عند المسلمين

– إن انتشار الإسلام في معظم العالم جعل المسلمين على اتصال مباشر مع شعوب متعددة ثم غزوها وتحويلها إلى الإسلام، ومواريث هذه العملية مازالت باقية

– طبيعة المجتمعات المسلمة، فغالبيتها لديها مشاكل مع الأقليات مقارنة بتلك التي ليست مسلمة مع الأقليات المسيحية.

– عدم وجود دولة أساسية أو أكثر، وبالتالي فإن أكثر من دولة تتطلع إلى قيادة العالم الإسلامي (السعودية، ايران، تركيا، باكستان، إندونيسيا ومصر وليس هناك واحدة منهم قادرة على أن تقوم بتسوية الصراعات أو أن تتصرف سلطويا نيابة عن المسلمين

– المسلمون يصورون أنفسهم كضحايا للإمبريالية الغربي، لكن هذا بتقديره لا يفسر الصراعات بين الأغلبية المسلمة والأقليات غير المسلمة في العديد من البلدان (السودان، مصر، إيران، إندونيسيا)

– الانفجار السكاني في المجتمعات المسلمة وتفاقم مشكلة البطالة وما ينتج عنها بين جيوش الشباب العاطلين عن العمل

ومن اجل تقديم انتقادات لهذه الأطروحات التي قدمها هنتغتون عن الإسلام والتي في مجملها هي أطروحات انتقالية غير موضوعية بعيدة كل البعد عن حقيقة الإسلام وتعاليمه الذي يدعو إلى التسامح والتضامن وعدم الظلم والرحمة بين الإنسانية جمعاء

أما الحروب الأولى التي خاضها المسلمون ضد المشركين والكفار، إنما كانت دفاعا عن النفس فهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله إلى البشرية كلها، سب وشتم وتعرض لمحاولة القتل وهجر من أرضه هو وأصحابه لما كان بين قومه الذين حرموه حرية الرأي والدعوة الى ما يؤمن به، فأراد هذا النبي أن يسترجع حقوقه التي ظلم فيها ولم يأخذها، حينها أمره ربه بالقتال بعدما كان من اتبعوه قد لاقوا ويلات العذاب والتنكيل

أما حروب المسلمين ضد الروم أو البيزنطيين وضد الفرس فهذا راجع إلى كون الجزيرة العربية كانت قسمة إلى قبائل منها ما هو تابع للروم ومنها ما هو تابع للفرس وما كانت هاتين الدولتين أن باجتماع هذه القبائل تحت ظل راية واحدة هي راية الإسلام لأنها في الأخير ستكون قوة عظمى في وجه الروم والفرس، ولذلك كان لزاما على المسلمين دفاعا عن دولتهم الجديدة أن يحاربوا هذه الدول

وأما الفتوحات الإسلامية في المغرب العربي فقد كان هذا الأخير جله تحت سيطرة البيزنطيين وقد نال أهله ويلات الاستغلال والظلم والجور، ومثال مصر عن ذلك ليس ببعيد.أما توغل المسلمين في البلاد الأوروبية فمن أجل تحرير الناس من جور الملوك والأمراء ورجال الدين وكذلك استغلال لظروفهم التعليمية المتدنية لشعوبهم وجهلهم، فكان لزاما على المسلمين كونهم يحملون مشعل الحضارة أن يفكوا أغلالهم، وطرح رسالتهم الحضارية ودينهم اختيارا وليس إكراها وأما في وقتنا المعاصر فينتقد عبد الغني عماد (2006) أطروحات هنتغتون في النقاط التالية:

– فالعنصرية والنازية والفاشية والاستعمار لا علاقة للمسلمين بها، ويمكن بالتالي اعتمادا على المفتاح المنهجي نفسه حشد أمثلة مضادة في القرن العشرين، فقرن المذابح المليونية حسب توظيف زبينغيوبريجنسكي هو قرن الهيمنة الغربية بامتياز، وفيه قتل ما يزيد عن 167 مليون إنسان (في الحربين العالميتين، الحرب اليابانية، الصينية، فيتنام، الحروب المكسيكية، والاسبانية، كوريا، حروب إفريقيا وأمريكا اللاتينية...)

وفيه تم إلقاء أول قنبلة نووية ضد هدف مدني، وحينها اعتبر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية: "هذا أعظم حدث في التاريخ"، وهي أول من استخدم النابالم المحرم دوليا في فيتنام واليورانيوم

المخصب في العراق ويوغوسلافية، ويمكن للائحة أن تطول فالانتقائية خصبة ومرنة ولكنها تبتسر الحقائق والأسباب المولدة للصراعات التي لا يجوز تفسيرها بالبعد الواحد.

– الحقيقة التي تجاهلها هذا التحليل أن الأديان لا تصنع الحروب، بل من يصنعها هو الدول والساسة الذين يستخدمون الدين في اطار تحشيدهم لعناصر القوة في صراعاتهم الانتقائية.

إضافة إلى اهم الانتقادات التي وجهها عبد الغني عماد لهنتغنتون، فإننا نضيف إلى ذلك، فإن كره العالم الإسلامي للغرب كما يعتقد هنتغتون ليس راجع الى الدين حتما بل يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية تقوم على أساس الاستغلال.

فقد شهدت معظم الدول الإسلامية الاحتلال المباشر سواء من قبل الفرنسيين أو البريطانيين ولم يسلم من ذلك كثير من الدول الإفريقية من احتلال الإيطاليين والبرتغاليين والأسبان وقد قام هؤلاء المحتلين بنهب ثروات هذه البلدان وثم تجويع أهلها وتشريدهم وتجهيلهم ومسخهم من هويتهم، ولذلك فإن معظم هذه الدول المحتلة تولد لديها حقدا للغرب ليس بدافع ديني بل بسبب الاستعمار المباشر، فضلا عن ذلك فإن جل هذه الدول لا زالت تعاني من الشعبية والتخلف بسبب الاستعمار غير المباشر من قبل الشراكات متعددة الجنسيات التي لا زالت تستفيد من ثروات هذه البلدان واستغلال اليد العاملة الرخيصة وخلق أسواق تجارية جديدة لهم بفضل عصبة من الطبقة الحاكمة التي تكرس هذا الاستغلال من اجل تلبية مصالحهم الخاصة على حساب شعوبهم وهذا هو الواقع الحقيقي لهذا الكره الموجود بين العالم الإسلامي والغربي وله اصبغ في بعض الأحيان بصبغة دينية حتى يكون الدين من بين العوامل المستخدمة من اجل إيقاف هذا الاستغلال الاقتصادي لهذه الدول

3– الحوار بين الثقافات:

معلوم أن كلمة حوار" ي اللغة العربية تدل على الحديث أو الجدال الذي يدور بين شخصين أو أكثر، وهي تستعمل في الأدبيات العربية المعاصرة، كمقابل متوافق عليه لكلمة dialogue، المتداولة في اللغات الأوروبية

وقد جاء مصطلح حوار الحضارات من اجل مد الجسور الثقافية بين الشعوب، وإقامة حوارات بناءة بين الثقافات البشرية في العالم، وبهذا الشأن صدرت في الأساس من منظمات دولية أو بإيعاز منها، وفي طليعة تلك المنظمات بالتأكيد هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) فهذه المنظمة بالذات هي التي أطلقت في عام 1999 مبادرة من هذا القبيل، وهي التي رعت اقتراحا يقضي باعتبار عام 2001 عاما دوليا من اجل حقوق الإنسان والحوار بين الثقافات(الدواي، 2013، ص 99).

ولكي يحقق هذا الحوار أهدافه الإنسانية لا بد من وجود ركيزتين أساسيتين يعتمد عليها ألا هو مبدأ التسامح ومبدأ حق الاختلاف

فعلى المجتمعات في وقتنا الحاضر أن تطوي صفحات التاريخ الدامية جراء الحروب الماضية ومحاولة إحياء من خلالها الأحقاد والكراهية لمجتمعات أخرى، وطي الصفحة لا يعني تمزيقها فالتاريخ سيظل تاريخ بسلبياته وإيجابياته ولكن على الأفراد والجماعات أن تتخذ العبرة مما سبق تدرك أن نشر الأفكار أو معتقدات لا يتم في وقتنا الحالي عن طريق الدبابة أو الحروب بل يتم عن طريق الإقناع والحجة وسنخص الفكرة بفكرة أقوى منها خاصة وأننا نعيش في عالم وكأنه قرية صغيرة، وما يحدث في مدينة صغيرة ينتقل إلى أسماع العالم في ثواني أو دقائق معلومة، فالمجال مفتوح لنشر الحقائق والمعارف والمعتقدات ونشر التسامح بين الشعوب انطلاقا من مبدأ احترام الآخر وأن الاختلاف سنة كونية لدى البشر فأفراد الأسرة الواحدة يختلفون في قضايا كثيرة كما أنهم قد يتفقون في قضايا أخرى، حتى أن أفراد المجتمع الواحد يتميزون بثقافات مختلفة، فنجد في دولة واحدة ثقافات متنوعة ومتعددة فما بالك أن تكون البشرية كلها تنضوي تحت ظل ثقافة واحدة فهذا ضرب من محال

ولذلك علينا أن نوسع مفهوم حق الاختلاف وأن نجعل المبادئ الإنسانية التي تدعو إلى التعاون بين الأفراد والشعوب والتضامن فيما بينهم هو أساس العلاقة التي تحكم الدول والمجتمعات أن نقر أن الاختلاف حق مكفول من قبل التشريعات الإنسانية وأن يكون التسامح بين الأفراد والشعوب أو أصل العلاقة فيما بينهم وأن

الاختلاف في العرق أو اللغة أو المعتقد يعتبر دافع للتعارف وليس للصراع وهذه هي المبادئ الأساسية التي تقف عليها نظرية حوار الحضارات أو حوار الثقافات.

خاتمة:

من خلال تطرقنا الى موضوع الفرد و الثقافة، استطعنا ان نتعرف على مفهوم الثقافة و كيفية تبلوره عبر صيرورة تاريخية، حيث انه لم يعرف بنفس الدلالة و المعنى الذي ارتبط به حاليا، فضلا عن أهمية الثقافة في حياة المجتمعات و الأفراد خاصة، كونها موروثا تتناقله الأجيال من جيل الى جيل آخر، عن طريق التربية و التعليم و مؤسسات التنشئة الاجتماعية، و كيف أن ثقافة المجتمع لها شان كبير في تحديد مصير الأفراد في المستقبل، الذي يكون نتيجة حوصلة تلك الأفكار و التصورات و المعتقدات و القيم و المعايير و الاتجاهات التي وصلت اليه كموروث ثقافي، و قد تصبح مع تقدم السن كأنه موروث جيني لا يستطيع ان يتنازل عليه مهما كلفه ذلك، و في نفس الوقت قد يرفض بعض الأفراد الثقافة السائدة بما يتميزون به من شخصية قوية ناقدة متطلعة طامحة و هذا مما أدى بكثير من المجتمعات الى تغيير الكثير من مكوناتهم الثقافية،و هذا بدوره أدى بهم إلى تغيير واقعهم كما حلموا به، و الشواهد التاريخية على ذلك كثيرة جدا، كما أننا اشرنا إلى الاختلاف الثقافي و مآلاته غير الآمنة فقد يكون هذا الاختلاف مدعاة الى الحوار و التعارف و التعاون و التضامن كما قد يكون مدعاة الى التنافر و الصراع . وبين هذا وذاك و بين جدلية الفرد و الثقافة جاءت هذه المطبوعة لإماطة اللبس على كثير من المفاهيم التي تعتريها بعض الغموض عسى ان يستفيد بها اي باحث يريد أن يلج هذا الموضوع خاصة طلبة السنة أولى جذع مشترك ALD .

قائمة المراجع:

1. ابراهيم، يحياوي (2016). **الانسان و الحضارة**، الاردن، دار الايام.

2. الأسد، ناصر الدين(10،2001). **القيم بين الخصوصية والعمومية**، أعمال المؤتمر الثقافي العربي السابع، سلطنة عمان، جامعة السلطان قابوس.

3. إنغليز، ديفيد وهيوسون، جون(2003). **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، ترجمة لما نصر، بيروت المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

4. بن خلدون، عبد الرحمان(2007). **ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، بيروت، دار الفكر.

5. بن غضبان، فؤاد(2015). **علم اجتماع التنمية**، عمان، دار الرضوان.

6. بن نبي، مالك (2015). **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط18.بيروت، دار الفكر المعاصر.

7. بن نعمان، أحمد(1996). **هذي هي الثقافة**، الجزائر، دار الأمة.

8. بوسينو، جيوفاني(د.ت). **نقد المعرفة في علم الاجتماع**، ترجمة (محمد عرب صاصيل)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

9. بيومي، محمد(2006). **علم الاجتماع الثقافي**، مصر، دار المعرفة الجامعية.

10. التابعي، كمال(1985). **الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية**، مصر، دار المعارف.

11. الجوهري، محمد(1981). **علم الفلكلور**، القاهرة، دار المعارف.

12. حامد،خالد(2008). **المدخل إلى علم الاجتماع**،ط1،الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.

13. حسن، سمير ابراهيم(2007). **الثقافة والمجتمع**، دمشق، دار الفكر.

14. الخشاب، أحمد(1970).**علم الاجتماع الديني**، ط3، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة .

15. الدواي، عبد الرزاق(2013). **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات**، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

16. ديورانت، ويل(1994). **قصة الفلسفة**، ترجمة أحمد الشيباني، ط1، القاهرة، دار القارئ الغربي.

17. الزين، محمد شوقي(2013). **الثقافة في الأزمنة العجاف**، الرباط، دار الأمان.

18. السيد، السيد عبد العاطي(2004). **علم اجتماع السكان**، مصر، دار المعرفة الجامعية.

19. طوالبي، نورالدين(1988).**الدين والطقوس والتغيرات**، بيروت، منشورات عويدات.

20. عبد الباري، فرج الله(2006). **العقيدة الدينية نشأتها وتطورها**، القاهرة، دار الآفاق العربية.

21. عبد الحسن، شعبان (2018). **الهوية و المواطنة البدائل الملتبسة و الحداثة المتعثرة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

22. عثمان، إبراهيم(2006). **مقدمة في علم الاجتماع**، الأردن، دار الشروق.

23. عثمان، مريم(2018). **مطبوعة بيداغوجية في مقياس فرد وثقافة**، مطبوعة غير منشورة، الجزائر، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف.

24. علي، عبد الرزاق جبلي(2016). **علم الاجتماع الثقافي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

25. عماد، عبد الغني(2006). **سوسيولوجية الثقافة المفاهيم والإشكالية... من الحداثة إلى العولمة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

26. عيد، كمال الدين(2007). **الرهان الحضاري**، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

27. غيث، محمد عاطف(1997). **قاموس علم الاجتماع**، مصر، دار المعرفة العلمية.

28. غير معروف(2008). **الثقافة بين الكوني والخصوصي**، ترجمة إياس حسن، دمشق، دار الفرقد.

29. فرحاتي، العربي بلقاسم(2016). **تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان**، ج2، الجزائر، كنوز الحكمة.

30. فيبر، ماكس (د ت). **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**، ترجمة محمد علي مقلد، لبنان، مراكز الإنماء القومي.

31. قلاتي، البشير (2007). **هكذا تكلم مالك بن نبي**، الجزائر، مكتبة إقرأ.

32. القماطي، هنية(2003). **الفكر الديني القديم**، ليبيا، جامعة قان يونس.– رشوان،

33.حسين(2004).**الدين والمجتمع**، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.

34. قيرة، إسماعيل وغربي، علي(2017). **في سوسيولوجيا التنمية**، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

35. كوش، دنيس(2007).**مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** ،ترجمة منير السعيداني، بيروت، المنظمة العربية للترجمة .

36. لعويني، صلاح الدين (نوفمبر، 2014). **مفهوم الهابيتوس عند بورديو**، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد3، العدد9، 63–71.

37. محمد، شلتوت(1974). **الإسلام عقيدة و شريعة**، القاهرة، دار الشروق.

38. مدبولي، جلال(1979). **الاجتماع الثقافي**، مصر، دار الثقافة.

39. مراد، زعيمي (2006). **مؤسسات التنشئة الاجتماعية**، الجزائر، منشورات جامعة باجي مختار عنابة.

40. مراد، زعيمي(2004). **علم الاجتماع رؤية نقدية**، الجزائر، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية.

41. وصفي عاطف(1977). **الثقافة والشخصية**، القاهرة، دار المعارف.

42. وصفي، عاطف (د ت). **الأنتربولوجيا الثقافية**، بيروت، دار النهضة.